

الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

رقم التسلسلي :

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

رقم التسجيل: 202035067631

قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر LMD في التاريخ

تخصص تاريخ الجزائر الحديث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الزواوة إلى ما قبل
نهاية الحكم العثماني

إشراف:

إعداد:

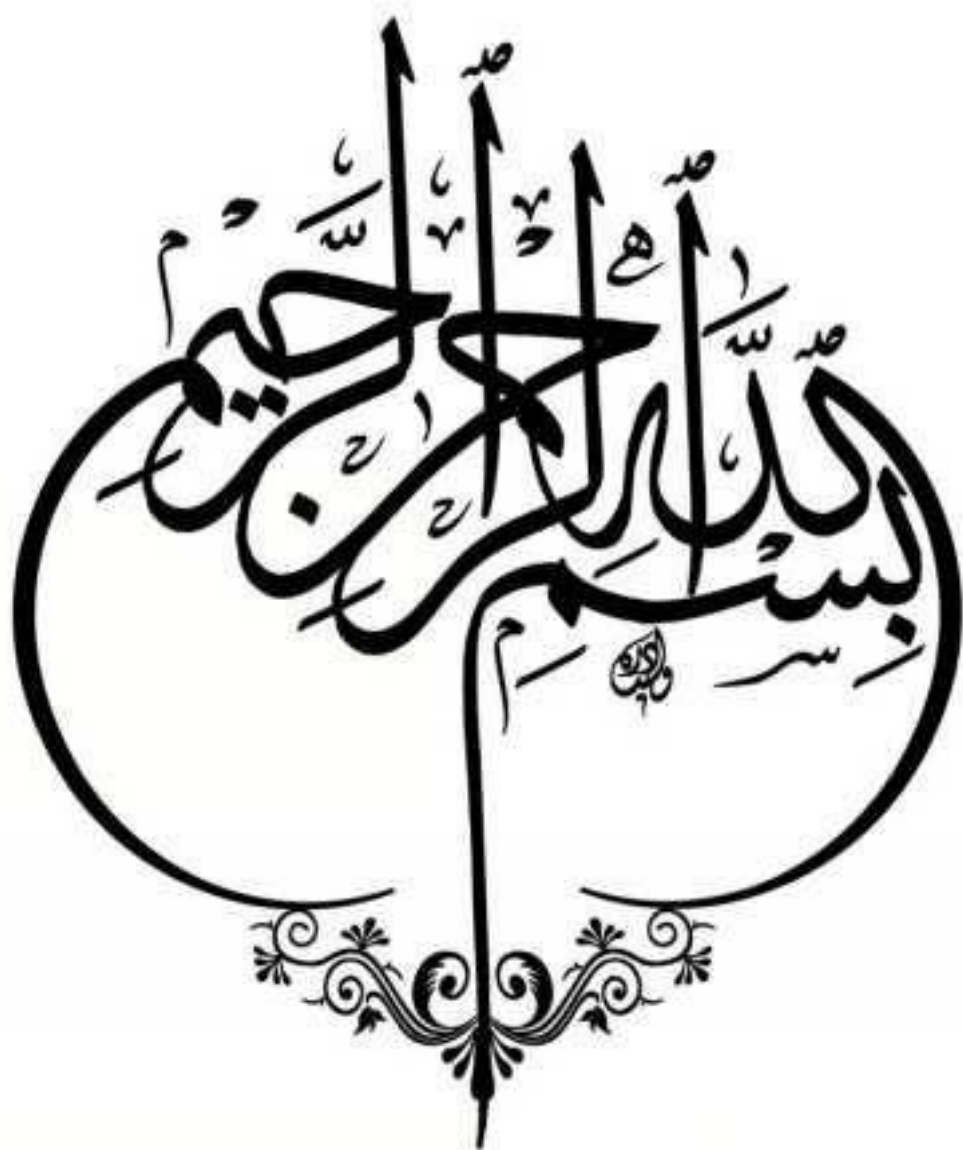
- تاحي إسماعيل

- غضبان رميصاء

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
صالحى منى	أستاذ دكتور	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
تاحي إسماعيل	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرف ومقرر
مرجي عبد الحليم	أستاذ مساعد أ	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1446-1447 هـ / 2024-2025 م



الإهداء

" وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين "

الحمد لله عند البدء وعند الختام

من قال أنا لها نالها

لقد كانت طريقا طويلة مليئة بالإخفاقات والنجاحات فخورة بكفاحي لتحقيق أحلامي

لحظة لطالما انتظرتها وحملت بها في حكاية اكتملت فصولها

إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار إلى

من كله الله بالهيبة والوقار والدي العزيز

إلى حبيبتي قرة عيني وجنتي في دنيا إلى القلب النابض إلى من كانت دعواتها

الصادقة سر نجاحي ودعمها لي ولولاها ما أكملت هذا فصل

من مشواري الدراسي

إلى أستاذي الفاضل تاحي إسماعيل الذي رافقني وقام بإرشادي طيلة بحثي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قائمة المختصرات

- ص : الصفحة
- م : الميلادي
- هـ : الهجري
- ج : الجزء
- ط : الطبعة
- تق : تقديم
- تع : تعريب
- تر : ترجمة
- د ، ت ، ن : دون تاريخ النشر
- د ، م ، ن : دون مكان النشر
- ANEP : الوكالة الوطنية للنشر والإشهار
- P : page

مقدمة

مقدمة

التعريف بالموضوع:

تعتبر فترة حكم العثماني في الجزائر من أهم الفترات التاريخية التي عرفت الجزائر والتي أسالت الكثير من حبر المؤرخين والباحثين وكذا الطلبة، ونحت الدراسات منها جوانب السياسية و الاقتصادية وخصوصاً العسكرية هذه الجوانب التي شكلت أغلب الدراسات، يضاف إليها الجانب الاجتماعي المتعلق بالعادات والتقاليد التي ميزت المجتمع الجزائري في فترة سالفه الذكر، وإذا كانت الحياة الاقتصادية والاجتماعية قاسماً مشتركاً لجميع مناطق الجزائر غير أننا وجدنا تفاوتاً واختلافات وإن كانت بسيطة بين مختلف مناطق الوطن وجاء اختيارنا لمنطقة قبائل أو زاوية لما لها من مميزات جغرافية، أدت إلى وجود مظاهر التعاون بين فئات المجتمع أثرت في نمط المعيشي للمنطقة، وفي هذا السياق يأتي موضوعي الموسوم بـ " الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة زاوية إلى ما قبل نهاية الحكم العثماني " .

حدود الدراسة:

تندرج دراستي في الفترة الزمنية المتمثلة في فترة العثمانية (1518-1830م) وإذا كانت هذه الفترة بمراحلها تبدو طويلة من الناحية الإدارية، السياسية، العسكرية، غير أنها عكس ذلك الجانب الاقتصادي والاجتماعي الذي أخذ معظم دراستي.

أسباب الاختيار:

ويرجع اختياري لهذا الموضوع لتسليط الضوء على عدة نقاط تراوحت بين أسباب موضوعية وأخرى تخص جانب ذاتي وهي:

الموضوعية:

- أن الموضوع يدخل في صلب التخصص وهو الفترة العثمانية.

- أن الدراسات التاريخية والأكاديمية ركزت على الجانب السياسي والعسكري بالدرجة الأولى، وبالدرجة أقل الجوانب الاقتصادية واجتماعية.
- أن معظم الدراسات خصوصاً الأجنبية حاولت تجاوز الكثير من الحقائق التاريخية لهذه الفترة عن طريق طمس إنجازات الجزائر في هذه الفترة تمهيداً لفترة الاحتلال التي نالت حظاً وافراً من الدراسة لدى هؤلاء.

الذاتية:

- الرغبة الشخصية في دراسة المنطقة دراسة اجتماعية في هذه الفترة.
- أنه من خلال دراستي في ليسانس والماستر زادت رغبتي في طرق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في هذه المنطقة من الجزائر.
- رغبتي في إضافة عمل متواضع لمكتبة قسم التاريخ.

مناهج الدراسة:

- أما بالنسبة للمناهج المتبعة في الدراسة، فإن طبيعة الموضوع اقتضت بالمناهج ساعدتني في بحثي وهي كالآتي:
- المنهج التاريخي، حيث استعنت به في سرد الأحداث حسب التسلسل الزمني وهذا ما تقتضيه الدراسة والتخصص.
 - المنهج الوصفي التحليلي، كان من خلال تحليل أنماط المعيشية والعلاقات الاجتماعية.
 - وكذلك استخدمت المنهج الإحصائي في التعرف على كميات الإنتاج الصناعي والزراعي للمنطقة.

الإشكالية:

- تندرج إشكالية موضوعي في دراسة اقتصادية واجتماعية لمنطقة زاوية وذلك بالبحث التاريخي الاقتصادي والاجتماعي لهذه المنطقة ومحاولة التعرف على اقتصادها وأهم عاداتها

وتقاليدها لتخلص بالسؤال المحوري المتمثل في، كيف ساهمت الخصائص المحلية للمنطقة في توجيه النشاط الاقتصادي وفي الممارسة الاجتماعية ؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- إلى أي مدى ساهم الموقع الجغرافي الجبلي لمنطقة زواوة في تحديد طبيعة النشاط الاقتصادي المحلي ؟
- ما دور الزراعة التقليدية في الحياة الاقتصادية لسكان زواوة ؟
- كيف ساهمت الحرف اليدوية والصناعات المحلية في تحقيق الاكتفاء الذاتي ؟
- ما طبيعة النشاط التجاري داخل زواوة ومع المناطق المجاورة، وكيف تم تنظيمه؟
- ما مكانة الزواج كممارسة إجتماعية، وماهي تقاليده ؟
- كيف تمارس طقوس الختان في زواوة ؟
- كيف تساهم المرأة القبائلية في دعم الأسرة والإقتصاد الريفي ؟

خطة الدراسة:

سمحت لنا المادة العلمية التي تمكنا من الوصول إليها وتبعًا للإجابة على الإشكالية المطروحة إلى تقسيم الموضوع إلى فصلين وقبلهما فصل تمهيدي، إضافة إلى مقدمة وخاتمة مضاف إليها مجموعة من الملاحق التوضيحية والبيبلوغرافيا وفهرس الموضوعات.

تناولنا في المقدمة: التعريف بالموضوع، حدود الدراسة، أسباب اختيار، المناهج، الإشكالية، الخطة، أهم المصادر والمراجع، وصعوبات البحث.

تضمن **الفصل التمهيدي**، عرضًا عامًا عن منطقة زواوة، يشمل موقعها الجغرافي، أصل تسميتها ونسب سكانها، إلى جانب هذا لمحة تاريخية تمتد من الفتح الإسلامي إلى بداية الحكم العثماني، وذلك لتأطير الموضوع في سياقه التاريخي والجغرافي.

أما **الفصل الأول**، فقد خصص لدراسة مقومات النشاط الاقتصادي في زواوة، حيث تناولنا فيه مختلف أوجه الزراعة أي النشاط الفلاحي وتربية الحيوانات، إلى جانب الصناعات

التقليدية التي تنوعت بين صناعات معدنية وزخرفية وأيضا منزلية وغذائية. كما تطرق الفصل إلى النشاط التجاري في المنطقة سواء في بعده الداخلي ضمن الأسواق المحلية أو في بعده الخارجي مع المناطق المجاورة، من خلال الصادرات والواردات، وهو ما يعكس اندماج المنطقة في شبكة إقتصادية نشطة.

في حين عالج الفصل الثاني، أبرز الممارسات الاجتماعية في المجتمع الزواوي، مركزاً على الطقوس المرتبطة بالزواج والختان، وما تحمله من دلالات ثقافية واجتماعية، كما سلط الضوء على دور المرأة القبائلية، سواء داخل بيت الزوجية أو في الحياة الريفية حيث ساهمت في النشاط الفلاحي وأشغال البيت، ما يعكس حضورها الفاعل في مختلف مناحي الحياة رغم الطابع التقليدي للمجتمع.

وفي الخاتمة البحث، فقد تضمنت هي الأخيرة أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، أي المحاولة للإجابة على التساؤلات الإشكالية.

أهم المصادر ومراجع الدراسة:

ولإنجاز هذا البحث اعتمدت على مادة علمية متأصلة في جملة من المصادر والمراجع التي شكلت دعامة أساسية لفهم مختلف الجوانب التاريخية للمنطقة من أهمها: فقد كان كتاب "تاريخ زواوة" لأبي يعلى الزواوي، دور محوري في تسليط الضوء على البنية الاجتماعية والقبيلة لسكان زواوة كما وفر معطيات مهمة حول أصولهم وتنظيمهم السياسي والاجتماعي.

أما كتاب ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، فشكل مصدراً أساسياً مما ساعدني على معرفة حقائق تاريخية مثل معرفة مجتمع قبائلي من حيث نسب وأصل بعض الأعراش، مما وضع منطقة زواوة ضمن إطارها الجغرافي والتاريخي الأشمل.

نجد المؤرخ الفرنسي هانوتو لوتورنو في عمله الموسوعي منطقة القبائل بأجزائه وصفاً دقيقاً للحياة اليومية لسكان زواوة خلال الفترة الحديثة، مركزاً على العادات والأنشطة الاقتصادية والنظام الاجتماعي، ما أتاح لنا مادة علمية ثمينة تعزز من تحليلنا للواقع الزواوي آنذاك.

أما مرجع المعنون بـ "بنو يعلى من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد" لعبد الكريم بوعمامة، فقد كان مرجعاً مهماً في تتبع الجذور التاريخية والتراثية لقبيلة بني يعلى إحدى المكونات الأساسية للمنطقة وساهم في تسليط دورها الثقافي والاجتماعي ضمن النسيج الزواوي العام.

وكذلك كتاب " قبيلة الزواوة بالمغرب الأوسط القرنين (6هـ-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري" لمفتاح خلفات، منحني هذا المرجع مفهوم حول تاريخ وأصول قبيلة زواوة في المغرب الأوسط بحيث يوفر نظرة شاملة حول تاريخ القبيلة، أصولها وتطورها عبر القرون وأيضاً يشرح التنظيم الاجتماعي للقبيلة.

الصعوبات:

لقد واجهتني أثناء بحثي أكاديمي عدة عراقيل وصعوبات تصادف أي باحث تاريخي خلال دراسته وكانت على النحو الآتي:

- ندرة المصادر المحلية، تعاني الدراسات المتعلقة بتاريخ منطقة زواوة من نقص حاد في الوثائق والمصادر المحلية الأصلية المكتوبة سواء في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي، حيث تمكنا من الوصول إليه سوى على روايات غير مباشرة أو كتابات إستعمارية ذات نظرة إستشراقية منحازة، ما تطلب مني الحذر والتحليل النقدي للمحتوى.
- تشظي المادة العلمية وتوزعها، إن المعلومات المتعلقة بالزواوة مشتتة في كتب لا تتناول المنطقة كمجال موحد، بل توردها عرضاً في سياقات أوسع، ما فرض مجهوداً مضاعفاً في جمعها وتركيبها ضمن رؤية منهجية متماسكة.

- هيمنة الطابع الشفهي على الذاكرة المحلية، أي معظم المعارف المتداولة حول الحياة الإقتصادية والإجتماعية في زواوة ظلت محفوظة في الذاكرة الجماعية الشفوية، والتي يصعب التحقق من دقتها التاريخية خصوصًا مع تناقض شهود العيان وتغير نمط الحياة التقليدي.

- واجهت صعوبة من جانب اللغة، صعوبة قراءة وترجمة المصادر المحلية المكتوبة بالأمازيغية، مما أدى إلى عدم إستفادة من الكثير مما احتوته هذه المصادر.

- نظرًا لأن الحياة الإقتصادية والإجتماعية لا تتجزأ بسهولة من السياق السياسي كان من الصعب أحيانًا فصل التأثيرات العثمانية الصرفة عن تلك التي سبقتها أو تزامنت معها، وخاصة أن الحدود الزمنية في المصادر ليست دائمًا واضحة أو منضبطة.

في حال محاولة الإطلاع على مصادر محلية أو مقابلة شهود أو فاعلين ثقافيين في المنطقة، برزت صعوبات تتعلق بالنقل أي محدودية الوصول إلى أرشيفات.

الفصل التمهيدي

لمحة عن المنطقة زواوة جغرافيًا وتاريخيًا.

أولاً: الموقع الجغرافي للمنطقة.

ثانيًا: أصل تسمية ونسب زواوة.

ثالثًا: تاريخ زواوة من فتح إسلامي إلى بداية الحكم العثماني.

قبل الدخول الى صلب موضوعنا المتمثل، كما سبق الذكر إقتصاد ومجتمع المنطقة زاووة خليق بنا أن نقدم تعريفا جغرافيا وتاريخيا وجيزا عن المنطقة لما لذلك من إرتباط عضوي ما بين الجانب الجغرافي والطبيعي والجانب الإجتماعي والإقتصادي.

أولاً: الموقع الجغرافي للمنطقة

إختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد موقع إحاطة زاووة نتيجة التغيرات التاريخية أو المراحل التاريخية التي عرفتھا المنطقة منذ القديم.

نجد ابن المنطقة أبو يعلى الزواوي¹، يذهب بعيدا عند الحديث عن المنطقة زاووة بحيث يعتبرها مساحة شاسعة تمتد بمحاذاة البحر المتوسط أو بالمعنى الآخر تحتل منطقة شمال إفريقيا مركزا على المنطقة جد صغيرة تمتد من الجزائر إلى بجاية حوالي 250 كلم². أما ابن خلدون فيذهب بالقول إلى أن حدود زاووة ما بين بجاية ودلس³.

والحق أن المنطقة كما نعرفها فهي تمتد من واد يسر غربا إلى وادي أغريون وجبال البابور شرقا ومن البحر المتوسط شمالا إلى سلسلة جبال البيبان جنوبا، وبذلك تضم هضاب سطيف وبرج وسهول مجانة وتتربع على مساحة قدرها 1500 كلم²، ويمكننا إقتصار الموقع أنه في شرق الجزائر⁴ (أنظر الملحق 1).

¹ أبو يعلى الزواوي: هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي من قبيلة آيت سيدي محمد الحاج بمنطقة القبائل الكبرى أو زاووة وينسب إلى الأشراف الأدارسة ، ولد حوالي عام 1862 م ، وكانوا أهله من الشرفاء ومن أهل الخير والكرم، تعلم في قرينته حفظ القرآن الكريم واتقنه وهو ابن اثني عشر سنة على يد والده محمد الشريف ، وبعض من الشيوخ نجد أن الزواوي أكثر من التنقل والترحال قبل أن يستقر في الجزائر العاصمة سنة 1920 م ، تقلد مناصب مختلفة في حياته فقد عين كاتباً في القنصلية الفرنسية بدمشق وكذلك كان عنده نشاط صحفي عند استقراره في سوريا ومن مؤلفاته ، كتاب جماعة المسلمين ، الإصلاح الصحيح ، كتاب الخطب ، توفي في 4 جوان 1952 م عن عمر يناهز 90 . أنظر: بلقاسم شتوان ، أبو يعلى الزواوي حياته وأثاره ومرجعياته السلفية ، مجلة المعيار نصف سنوية جميع التخصصات، جامعة تسمسيلت ، مجلد 18 ، عدد 36 ، 2014 م، ص 2-3.

² أبو يعلى الزواوي ، تاريخ الزاوة ، تر سهيل الخالدي ، منشورات وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2005 ، ص 90.

³ عبد الرحمن ابن خلدون ، العبروديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، اعني به أبو الصهيب الكرامي ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، الأردن ، (د ، ت) ، ص 1618.

⁴ يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1995 م ، ص 20 .

تتألف منطقة زواوة من تضاريس جبلية متنوعة نذكر منها:

- **جبال البيان:** هيا عبارة عن جبال تحد القبائل من الجنوب، بحيث تعتبر رابط بين جبال جرجرة غربًا وجبال الحضنة وبابور شرقًا، فتحدها من الشمال الغربي الذي هو حاليًا ولاية بجاية، ومن الشمال الشرقي والشرق ولاية سطيف ومن الشرق والجنوب الشرقي ولاية برج بوعريج¹.

نجد أن جبال البيان تشتهر بمضايقتها وخوانقها العميقة والضيقة وأبوابها وبعدة قممها وشدة إنحدارها، وتعاني من فقر التربة بحيث يكسوها غطاء نباتي وشجري متنوع من أنواعها الحلفاء والصنوبر والبلوط والعرعار والسنديان والصفصاف وكذلك الضرو والدفلة والدوم والزيتون والتين².

يعتبر التين والزيتون من النعم المباركة بحيث نجده مذكور في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)﴾³.

- **جبال جرجرة:** هي سلسلة جبلية تمتد نحو الشمال وتتجه صوب البحر الأبيض المتوسط، تضم هذه الجبال قممًا شاهقة مثل جبل "لالا خديجة" الذي يعد أعلى قمة بإرتفاع يبلغ 2,308م، تقع جبال جرجرة بين السلسلتين الأطلسيتين: السلسلة التلية والسلسلة الصحراوية، وتعتبر منطقة ذات أهمية طبيعية وجغرافية متميزة⁴.

- **جبال البابور:** هي سلسلة جبال تمتد من وادي بوسلام والصومام غربًا، إلى الجنوب الشرقي من بجاية شرقًا.

¹ محند أكلي آيت سوكي ، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن (13-10هـ/19-16م) ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2006/2007م ، ص 15.

² يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 21.

³ القرآن الكريم ، سورة التين ، الآية (1-3).

⁴ محمد بن عميرة ، لطيفة بشاري بن عميرة ، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين ، ط 1 ، دار الفاروق ، الجزائر ، 2015 ، ص ص 17، 18.

تتكون من تضاريس وعرة يعيق التوغل فيها، بحيث ذات تربة عقيمة تغطيها أشجار متناثرة، كذلك تحتوي على مجموعة من الأودية التي كان لها دور في تسهيل عملية التنقل والاتصال بالهضاب العليا والمناطق الداخل¹.

تعتبر جبال البابور جزءًا من سلسلة جبلية تحيط بمدينة سطيف حيث تشكل حاجزًا طبيعيًا جعل من منطقة متميزة، وتأتي بعد هذه السلسلة من الناحية الجغرافية سلسلة أخرى تعرف باسم سلسلة "تابابور" التي كان لإمتدادها مشهد طبيعي بإمتيازها بخصائص مميزة².

• **حوض الصومام:** يحتوي على موقع إستراتيجي للفلاحة البستانية بحيث يتميز بخصوبة التربة وكذلك بكثرة المياه، مما ساعد على الفلاحة كما يمثل الشريان الرئيسي للمواصلات والاتصالات بين الشمال والجنوب³.
تمثل إمتداده من بني منصور غربًا إلى بجاية شرقًا، وهو عبارة عن حوض إمتلأ بالترتبات الغرينية⁴.

وصفوة القول فإن منطقة القبائل تتميز بمايلي:

- صغر مساحة مقارنة بباقي مناطق الوطن.
- تنوع جغرافي وطبيعي أدى إلى تنوع غطاء نباتي ووفرة المياه.
- صغرة المساحة الزراعية فهي مساحة صغيرة ساهمت في دفع سكان.
- المنطقة إلى إهتمام بالغرس الأشجار وتربية الحيوانات.
- كثرة عدد سكان مقارنة بالمساحة وهو ما يدفع إلى حركية المجتمع الزواوي الذي كانت الهجرة الداخلية والخارجية تؤكد تكون خاصية أو سمة ديمغرافية في هذا المجتمع عبر مختلف المراحل التاريخية.

¹ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 15.

² أحمد توفيق المدني ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية ، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1948م ، ص 13.

³ يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 21.

⁴ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 16.

نتطرق إلى الحديث عن أصل تسمية ونسب المنطقة المدروسة، بحيث واجه المؤرخون قديماً وحديثاً الكثير من الإضطرابات والخلافات وأطالوا البحث ولكن لم يحصلوا إلا على روايات متضاربة و آراء متناقضة¹.

ثانياً: أصل تسمية ونسب زواوة

أطلقت العديد من التسميات: البربر، القبائل، الزواوة

يقول ابن الرقيق إن إسم بلاد البربر مشتق من البر الذي أطلقه العرب على البلاد قبل أن تكون أهلة ومن ثم سموا سكانها برابر².

أما بلسان العرب فذهب بها على أنها عبارة عن إختلاط الأصوات غير المفهومة³. لكن في الواقع لا توجد اليوم لغة بربرية متداولة بمعنى أنها تمثل إنعكاساً لمجموعة بشرية واعية بوحدتها⁴.

قسم ابن خلدون البربر إلى صنفين، الصنف الأول هم مجموعة من البربر الحضر الذين يقطنون في المدن والهضاب المزروعة، أما الصنف الثاني فهو عبارة عن البرابرة الذين يعيشون في الأرياف والمراعي⁵.

أما عن تسمية القبائل فهي مشتقة من الكلمة العربية "قبيلة" وأنها أطلقها العثمانيون على المناطق الجبلية الواقعة بنواحي شرقية من مدينة الجزائر⁶.

¹ سعدي ميزان ، السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914م) ، ج 1 ، دار سيدي الخير للكتاب ، الجزائر ، 2010م ، ص 44.

² مارمول كاربخال ، إفريقيا ، ج 1 ، تر أحمد حجي وآخرون ، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1984م ، ص 25.

³ محمد بن مكرم (ابن منظور) ، لسان العرب ، م 14 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د ، ت) ، ص 205

⁴ غابريل كامب ، البربر الذاكرة والهوية ، تر جاد الله عزوز الطلحي ، تق محمد الطاهر الجباري ، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، 2005م ، ص 45.

⁵ عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، 1826م.

⁶ وليام شالر ، مذكرات وليام شالرفنصل أمريكا في الجزائر ، تعرض وتوثق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص 113.

وقيل إن تسمية لم تطلق على السكان الجبليين إلا بعد الفتح إلا الأوائل. نطقه وهذا ما قام بذكره الجنرال دumas والنقيب فابار¹.

أما مارسي فيذكر أنه ربما أطلقت على البربر من طرف عرب مدينة الأوائل².

لقد تحدثت المصادر التاريخية وأصلهم الزاوة، من بينها ابن خلدون الذي قام بتعريفها في قوله: "ومواطن زاوة بنواحي بجاية، ما بين مواطن كتامة وصنهاجة فأما زاوة فهم من بطونهم...." موضحا استقرار سكان منطقة وأصلهم³.

وكذلك نذكر كاتب تاريخ الزاوة أبو يعلى الزواوي من أصحاب المنطقة الذي ذكر في كتابه أن الزاوة هو جمع "زاو" و "أزوي" تعني جاء ومعه غيره وهي إشارة تدل على اتحادهم وتحالفهم أمام الأخطار وهذا ما يعرف به الشعب الزواوي بأنهم قوم بتمتع بالقوة ومواجهة⁴.

وهي قبائل مشهورة ويكمن استقرارهم وتواجدتهم دائم بشمال إفريقية، بحيث يجعلهم البحر الأبيض المتوسط الذي يمتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية التي تعتبر إحدى عواصمهم وإلى جيل نصف دائرة فهؤلاء هم المعروفون والمشهورون بالزاوة⁵.

ومما سبق ذكره أن الزاوة اشتهرت باسم القبائل وتطلق هذه التسمية حتى اليوم على مواطن كتامة، وهذه الأخيرة تناولها ابن خلدون في كتاباته عن زاوة⁶.

¹ سعدي ميزان ، المرجع السابق ، ص 54.

² نفسه ، ص 55.

³ عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 168.

⁴ فاهيمة مبارك ، بلاد زاوة في ظل الحكم العثماني (1511-1830م) ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر-2- أبو قاسم سعد الله ، 2015-2016م ، ص 19.

⁵ أبو يعلى الزواوي ، المصدر السابق ، ص 90.

⁶ مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 2 ، تح محمد الميلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1989م ، ص 182.

وهناك من نظر على أن تسمية الزواوة اشتقت من كلمة أقاوا وجمعها هو إقاواون التي تدل على مجموعة من الأعراس¹، مثل بني سنوس وبني زروال وبني زواوة².

نجد أن سكان الغرب الجزائري يستعملون مصطلح زواوة وهي عين الصواب وكذلك إحتفاظ منطقة القبائل بالكلمة من خلال تداول الأشعار والأغاني التراثية يذكر فيها مصطلح زواوة، وأيضا إضافة علمائهم إلى أسمائهم لفظ الزواوي والدليل هو شيخ أبو يعلى الزواوي³.

نسب الزواوة:

إن تكون المجتمع الزواوي وجذوره يظل قضية شائكة، تشعبت واختلف الباحثون في تحديد أصول الأمازيغ بحيث تعود أصول سكان منطقة القبائل إلى العنصر الأمازيغي.

ذهب المؤرخون كل منهم في إتجاه فهناك من ينسبهم إلى الشرق وهناك من ذهب في إتجاه المعاكس وهو الغرب، وهناك أيضا من تركهم بأنهم من أصول محلية⁴.

في القرون الوسطى نسبهم إبن خلدون بأن البربر من ولد كنعان بن حام بن نوح⁵. ولكن في ظرف آخر نجد أن إبن خلدون ذهب إلى مساندة إبن حزم بحيث أن هذا الأخير أدرج زواوة بين أبناء سمكان بن يحيى البتريين ومرة أخرى ضمن قبائل كتامة البرنسية، وتكمن مساندة إبن خلدون لهذا من خلال قول البلاد. الناس جاهلون بنسبهم وعامة نسابه البربر على أنهم من بني سمكان بن يحيى بن ضريس وأنهم إخوة زواغة⁶.

¹ سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 52.

² وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 113.

³ سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 52.

⁴ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 16.

⁵ غابريل كامب ، المرجع السابق ، ص 25.

⁶ الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية (أدوارها، مواطنها، أعيانها)، ج 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص 226.

وقيل في كتاب المسالك والممالك على أنهم كانت منازلهم في فلسطين لكن طردوا منها من طرف بعض ملوك الفرس، فلما وصلوا إلى مصر تعرضوا إلى منع من خلال ملوك مصر من النيل، فقاموا بالعبور منه وانتشروا إلى البلاد¹.

أما في مفاخر البربر فيذكر أن كان في الأندلس بيوتات من البربر من صنهاجة² وقيل أيضا أنهم أوزاع من بلاد اليمن.

أما عندما نذهب إلى أبناء منطقة نجد في مقدمة أبو يعلى الزواوي كاتب تاريخها بحيث تطرق إلى تعريف بالزواوة وأصلهم فيقول: "أعني بالزواوة.... المشهورين الآن بهذا الاسم قبائل زواوة فهي جملة من قبائل كتامة وصنهاجة على طريقة الأصل الجغرافي كما تقدم أنهم منبعثون من طرابلس الغرب شمالاً وجنوباً إلى المغرب الأقصى الذين منهم الشاوية والزناتة والملثمون وقبائل الحضرة"³.

يرى السلاوي بأن نسب الزواوة يعود إلى بني حام وذلك يكمن من خلال قوله: "بني حام تنازعوا مع بني سام فانهزم بنو حام أمامهم وانتقلوا إلى المغرب وانتشروا هناك"⁴.

¹ محمد البكري، المسالك والممالك، ج 1، ط 1، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص 250.

² صنهاجة: تعد صنهاجة من أبرز القبائل البربرية التي اشتهرت في مناطق المغرب الكبير. عرف أفرادها بمكانتهم البارزة في شمال إفريقيا، حيث سكنوا منطقة الأطلس وساهموا في تشكيل التاريخ الاجتماعي والسياسي لتلك المناطق. وصفهم المؤرخون بأنهم أمة قوية ومتراصة لعبت دوراً رئيسياً في استقرار المنطقة، مع تنوع أصولهم الممتدة إلى فروع متعددة تعرف بعمق جذورها التاريخية. أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المتبدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 6، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000م، ص 201-202.

³ أبو يعلى الزواوي، المصدر السابق، ص 101.

⁴ أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ص 28.

أما من جانب مارمول كاريخال فنسبهم على أنهم عبارة عن جاليات أو قبائل من السبتيين جاءوا مع مالك الإفريقي مالك اليمن، بالمعنى أن العنصر الأمازيغي عنصر مهاجر¹.

لقد أكد الطبري وابن خلدون على أن نسب الزواوة راجع من أصل عربي وأنه لا يوجد إختلاف بينهم، فيقول ابن خلدون "ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذي قدمنا ذكرهم كلهم من البربر الصنهاجة وكتامة..."².

وكذلك نضيف قول ابن خلدون "هؤلاء البطون من بطون برابرة البتر، وأن مواطنهم بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة"³.

ويمكننا القول على أن البربر هم مجموعة من الأقوام مثل العرب كلها مسلمة باستثناء القونشيين القدماء من جزر الكناري الذين تمسحوا واندمجوا في الإسبان وبعض الأسر القبائلية النادرة التي تحولت الى المسيحية في نهاية القرن التاسع عشر⁴.

لقد وردت في العبر أسماء كثيرة للبطون المتفرعة عن قبيلة زواوة نذكر منها: بني كوزيت، بني كوني، بني مرانة، مشدالة، ولزاجة. وكذلك نشير إلى بعض قبائل التي عاصرت ابن خلدون مثل بنو بوشعيب، بنو بو يوسف، بنو صدقة، بنو غيرين... إلخ⁵.

¹ مارمول كاريخال، المصدر السابق، ص 91.

² ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون...، ج 6، المصدر السابق، ص 117.

³ نفسه، ص 118.

⁴ غابريل كامب، المرجع السابق، ص 25.

⁵ الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص ص 227-228.

ثالثاً: تاريخ زواوة من فتح إسلامي إلى بداية الحكم العثماني:

إن انتشار الإسلام وتمكنه في شمال إفريقيا الأمازيغية، لم يتم بين عشية وضحاها بل تم ببطء كبير¹. بحيث اتسمت الفتوحات الإسلامية بعنف المواجهة بين الأطراف المتصارعة وطول المدة الزمنية التي استغرقت (حوالي 68 سنة)².

لقد أصبحت بلاد البربر مسلمة في أقل من قرنين (السابع والثامن) وكان نشر الإسلام هو التعريب الأول وكان ذلك في المدن فقد تركز دين الفاتحين في المدن القديمة التي أخضعها المحاربون الموفدون ثم بعد ذلك الفقهاء الزائرون الذين تصدوا لبث وشرح تعاليم الدين الجديد³ فإن البربر قبائل كثيرة وشعوب جمة⁴.

ساهم الدعاة الموفدون في نشر الإسلام في صفوف القبائل خاصة الزناتية⁵.

بعد انتشار الإسلام في الدول المغاربية ظهرت ممالك ودول وهي الأغلبية، الفاطمية، الزيرية، الحمادية، الموحدية، الحفصية⁶.

عند الحديث على زواوة في العهد الإسلامي⁷ نتطرق إلى هذه الدول:

- الدولة الأغلبية (184-296هـ/800-909م): كانت منطقة زواوة، تابعة لمدينة بجاية خلال العصر الوسيط والتي كانت خاضعة بدورها لسلطة الدولة الأغلبية في إفريقيا

¹ صدقي علي أزاكيو، الإسلام والأمازيغ، دار أبي رقراق، الرباط، 2002م، ص 13.

² نفسه، ص 10.

³ العربي عقون، المرجع السابق، ص 19.

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 250.

⁵ العربي عقون، المرجع السابق، ص 19.

⁶ أحمد بن رمضان، زواوة من عهد الفتيقيين إلى مابعد الفتوحات الإسلامية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر، مجلد 4، العدد 8، ص 6.

⁷ Saida Benchikh-Boulouanour، L'Algerie par ses Archives، casbah Edition، 2015، pp 54-55.

(تونس)، ونعتقد أن الموقع الجغرافي لقبائل زواوة هو ما أدى إلى بقاء النظام القبلي محتفظاً بكيانه¹.

- الدولة الفاطمية (296-362هـ/907-973م): خلال العهد الفاطمي كان البربر قد وسعوا نفوذهم في السهول العليا على حساب إخوانهم بربر صنهاجة²، ولقد كانت قبائل زواوة وعجيسة وكتامة متحالفة فيما بينها³ وهذه الأخيرة قد استقبلت داعية شيعياً "أبو عبد الله صنعاني" الذي بشر بمقدم المهدي وتبين أن هذا الداعية كانت له أطماع استراتيجية بحيث تمكن من احتلال سطيف وباجة وقسنطينة، فأعلنت الدولة الفاطمية بقيادة المهدي "عبيد الله حملة" ونجحت فيها بحيث قامت بالسيطرة على القسم الأكبر من إفريقيا الشمالية لفترة⁴.

بعد ثلاثة أجيال تولى الزيرون عن المذهب الشيعي، وأعلنوا الانفصال عن الفاطميين (1045م) لأن الشعب الأمازيغي أصبح يرفض تدريجياً مذهب فرض عليه بالقوة، وفضل الولاء للخليفة العباسي⁵.

- الدولة الزيرية (362-515هـ/972-1121م): لقد عرفت العلاقة السياسية تطور مرحلياً، خلال بداية الدعوة الفاطمية، شكلت فيما بينها تحالفاً قبلياً واجه به "عبد الله المهدي" خصومه من الأغلبية وقبائل زناتة أما بعد رحيل الفاطميين إلى مصر فقد تحول هذا التحالف إلى عدااء دائم بينهما وبين قبائل زواوة، رغم سيطرة الزيبيين على

¹ أحمد بن رمضان، المرجع السابق، ص 7.

² العربي عقون، المرجع السابق، ص 22.

³ أحمد بن رمضان، المرجع السابق، ص 7.

⁴ العربي، المرجع السابق، ص 22.

⁵ نفسه، ص ص 22-23.

المنطقة الشرقية من المغرب الأوسط إلا أن موطن زواوة ظل بعيداً عن نفوذهم وسلطاتهم مما ساد قبائلها في تعزيز استقلالها¹.

- الدولة الحمادية (398-481هـ/1008-1152م): يبدو أن اهتمام الحماديين بمنطقة زواوة لم يبدأ إلا في عهد الناصر بن علناس والذي كان في (454-481هـ/1062-1089م) وعلى عكس الأغلبية والزييريين، فقد تمكن هذا الأخير من إخضاع مدينة مرسى الدجاج التي تسكنها فروع من قبائل زواوة وألحقها بدولته، وعين عليها ابنه "عبد الله" حاكماً عليها². إلا أن ذلك لم يسمح لها عملياً بالتغلغل في الوسط القبلي واكتفت بسلطة رمزية في حين ظلت منطقة الزواوة وقبائلها بمثابة القلعة المحصنة محافظة على استقلالها طيلة فترة العصر الوسيط، لكن هذا لا يعني أنها كانت منعزلة، بل كانت لها علاقات تجارية مع القبائل والمدن المجاورة³.

- الدولة الموحدية (524-668هـ/1131-1269م): بعد أن أتم "عبد المؤمن بن علي" الذي كان عهده في (540-558هـ/1145-1162م) فتح بجاية الذي جرى سنة (1065م) وقام بإسقاط الدولة الحمادية، هذا ما جعل قبائل زواوة ان تتور عليه وامتنعت عن الدخول في طاعته واستنكفت عن دفع الضرائب ، وراحت إلى شن غارات متكررة، وكانت تعتبر أن الدولة الموحدية تمثل عدواناً خارجياً⁴. وعجز جيش الدولة على التصدي لهذه التمردات والهجمات العسكرية ويعتبر هذا سبب من أهم الأسباب التي

¹ مفتاح خلفات ، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري ، المؤلفات للنشر والتوزيع ، المسيلة ، الجزائر ، 2015م ، ص ص 84-85.

² نفسه ، ص 85.

³ أحمد بن رمضان ، المرجع السابق ، ص 8.

⁴ مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 89.

أدت بالدولة الموحدية إلى الإنهيار والسقوط¹. ويمكن القول أيضاً أن التراجع لعظمة الموحدين كانت اثر هزيمة "محمد الناصر" في معركة العقاب سنة (609هـ/1212م)².

- الدولة الحفصية (627-981هـ/1229-1273م): بعد سقوط الدولة الموحدية ظهرت أنقاضها ثلاث دويلات³، وهي (الدولة الحفصية في تونس، والزيانية في تلمسان، والدولة المرينية في فاس)⁴.

كانت منطقة زواوة تمثل الحدود الغربية للدولة، إذ تشير المصادر التاريخية أنها ظلت تعيش على الهامش بعيدة عن أي تأثير سياسي، إن ضعف السلطة المركزية وعقب ثورة الداعي "أحمد بن مرزوق"، تمكنت زواوة من فرض هيمنتها وهيبتها على القبائل التي تقع في الجوار الجغرافي، وكان فيهم جانب من العزلة وروح التمرد وعدم الإنقياد لسلطة الدولة، وهذا ما دفع بالأمير "أبي زكرياء" إلى ربط علاقات ود مع بعض فروعها مثل بني غبرين وبني جناد⁵. ظلت الزواوة بعيدة عن الصراع بين الدولتين الزيانية و الحفصية. محافظة على استقلالها سالكة مبدأ الحياض السياسي⁶.

ختاماً يمكنني القول أن قبيلة زواوة قد لعبت دوراً محورياً في تجسيد تاريخها عبر العصور، بدءاً من الأغالبة وصولاً إلى الحفصيين، نجدها أن خلال حكم الأغالبة حافظت على استقلالها رغم فرض الضرائب.

دعمت الفاطميين جزئياً لكنها تمردت بعد انتقالهم إلى مصر. أما في عهد الزييريين والحماديين، ساهمت في الدفاع عن المنطقة ضد غزوات القبائل الهلالية، وكانت حليفاً هاماً للحماديين. وكذلك مع الموحدين دعمن الحركة وشاركت في نشر عقيدتهم. خلال الحكم الحفصي

¹ أحمد بن رمضان ، المرجع السابق ، ص 8.

² محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص 92.

³ مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 91.

⁴ أحمد بن رمضان ، المرجع السابق ، ص 9.

⁵ مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 91.

⁶ نفسه ، ص 94-95.

استمرت في التمتع بحكم ذاتي نسبي ودافعت عن أراضيها ضد الغزوات الأجنبية، مما رسخ مكانتها كرمز للصمود والاستقلال.

الفصل الأول :

مقومات النشاط الإقتصادي في زواوة

المبحث الأول: الزراعة وتربية الحيوانات

أولاً: النشاط الفلاحي

ثانياً: تربية الماشية

المبحث الثاني: الصناعات التقليدية في زواوة

أولاً: الصناعات المعدنية والزخرفية

ثانياً: الصناعات الغذائية والمنزلية

المبحث الثالث: النشاط التجاري في زواوة

أولاً: التجارة الداخلية

ثانياً: التجارة الخارجية

الحياة الاقتصادية في المنطقة زواوة خلال العهد العثماني كانت تعتمد على الزراعة وتربية المواشي والصناعات الحرفية مثل النسيج والفخار وأيضا صناعة الأسلحة ساهمت الطبيعة الجبلية في تعزيز الاكتفاء الذاتي، مع بعض الأنشطة التجارية المحلية و الإقليمية، كما كانت العلاقة الاقتصادية مع الدولة العثمانية تتمثل في دفع الضرائب مع الاحتفاظ باستقلالية نسبية.

المبحث الأول: الزراعة وتربية الحيوانات

أولاً: النشاط الفلاحي

تشير الفلاحة لدى القبائل إلى مكانة مميزة، حيث يفضلون العمل في الأرض ويرونه رمزاً للشرف والإعتزاز، وفي حال اضطرت بعض القبائل إلى التخلي عن أراضيها أو ممارسة التجارة كبديل، فإن ذلك يعكس عدم قدرتها على تحقيق الاكتفاء الغذائي¹. هذا الارتباط بالأرض والعمل فيها يعكس صفات الرجل القبائلي، الذي يتميز بحبه للعمل والنشاط و الوعة وغياب الطرق المعبدة، جعلت من الصبر والمثابرة خصالاً راسخة في شخصيته ما ساعده على استغلال موارده وتحقيق اكتفائه الذاتي².

كانت الأراضي الزراعية في منطقة زواوة مخصصة غالباً لتلبية احتياجات الأسر والعشائر المحلية ما يعكس طبيعة التنظيم القبلي السائد فإن الزراعة شكلت المورد الأساسي للسكان، حيث اعتمدوا عليها لتوفير احتياجاتهم الغذائية والتجارية، رغم طبيعة المنطقة الجبلية إلا أنها تميزت بإنتاجها لمحاصيل متنوعة مثل، الحبوب والزيتون والكروم، كما ساهمت زراعة الأشجار المثمرة في تعزيز اقتصاد السكان³.

¹ هانوتو . لوتورنو ، منطقة القبائل والأعراف القبائلية ، ج 1 ، تر مخلوف عبد الحميد ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2013م ، ص 604.

² لخضر بوطبة ، بجاية خلال العهد العثماني (1833-1555م) سلسلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ، دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة والتوزيع ، الجزائر ، 2021 ، ص 222.

³ سعدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 69.

• **فلاحة الحبوب:** تمثلت في القمح و الشعير والخرطال والذرة¹ والحنطة² بحيث تمارس هذه الفلاحة في الأراضي الخاصة، وأراضي العرش والقبائل كما أشرت إليها سابقاً³، بحيث يتعاون سكان القبيلة الواحدة في زراعة حقولهم⁴، وكانت تمارس هذه زراعة بالمحراث الخشبي وعضلات الحيوان كالثيران والأحصنة والبغال والأحمر، وبالفأس وعضلات الإنسان، ويستعمل المنجل اليدوي في الحصاد والمدر، والحيوانات في الدرس وتصفية⁵.

ويعتمد في تسميد التربة في منطقة بشكل أساسي على المواد العضوية المتاحة محلياً مثل فضلات الحيوانات وبقايا النباتات من حشائش جافة وأوراق وجذور، يعد هذا الأسلوب التقليدي جزءاً من الممارسات الزراعية التي تراعي الموارد الطبيعية للمنطقة تفلح الأراضي الزراعية عاماً وتترك في العام التالي لتستعيد خصوبتها بشكل طبيعي وهي طريقة تهدف إلى الحفاظ على التوازن البيئي وتقليل استنزاف التربة⁶.

تزرع الحبوب بأنواعها المختلفة في أحواض جبلية أو سهول مثل حوض سيباو والصومام، كما تزرع أيضاً في أراضي الداخلية مثل حوض ذراع الميزان، وواضية وحوض البويرة، أما في المنحدرات الجبلية والمناطق الفقيرة إلى تربة، فإن نوع الزراعة بها زراعة معاشية تعتمد بشكل كبير على استغلال وسائل بسيطة وتقنيات بدائية ينعكس هذا الأسلوب على نوعية الإنتاج وكميته، حيث يغطي احتياجات السكان المحليين فقط ومع ذلك، فإن الكميات الزائدة من الإنتاج تنتقل أحياناً إلى مركز الحكم مثل دار السلطان⁷.

¹ يعي بوعزيز ، الحالة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الثقافة الجزائرية، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، العدد 80، 1984م ، ص 124.

² مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، 228.

³ يعي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 124.

⁴ مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 228.

⁵ يعي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 124.

⁶ المرجع نفسه ، ص 164-165.

⁷ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 44.

ومع ذلك تواجه المنطقة تحديات كبيرة تحول دون القدرة على تقديم إحصائيات دقيقة بشأن المساحات المزروعة أو كميات الإنتاج المحصل عليها تعود هذه التحديات إلى عدة عوامل رئيسية، منها اختلاف خصوبة التربة بين المناطق وكمية الأمطار التي تعتبر العامل الأهم في تحديد إنتاجية الأرض.

بالإضافة إلى ذلك، غالبا ما تستغل الأراضي الزراعية في زواوة لتوفير الأعلاف اللازمة للحيوانات بدلاً من زراعة الحبوب وذلك بسبب ضعف إنتاجية الحبوب الناتج عن فقر تربة وغياب التقنيات الحديثة لتحسينها¹، يقول مارمول كاربخال في هذا سياق: "إن الأرض لا تنتج كثيرا من القمح الرطوب أكثر من الحرارة، فلا يحصل بسبب ذلك قمح كثير، ولكن بالمقابل ينتج كمية من الشعير، والأرض صالحة جداً لرعى الماشية، لأن الكلاً ينبت فيها بغزارة"².

هذا يوضح أن إنتاج الحبوب كان غير مكثف جداً في جميع بلاد زواوة³، يظهر هذا الوضع تحدياً كبيراً أمام التنمية الزراعية المستدامة في المنطقة، مما يتطلب حلولاً لتحسين جودة التربة وزيادة الإنتاجية⁴.

● **فلاحة الخضر:** تعتبر زراعة الخضر نشاطاً زراعياً مهماً في منطقة زواوة، حيث تتميز بتنوع كبير في أنواع المحاصيل المزروعة، تشمل هذه الخضر من البصل والثوم المعروفين بقيمتهم الغذائية و استخداماتهما المتعددة في الطهي، بالإضافة إلى اللفت والجزر اللذين يزرعان بشكل واسع نظراً لفائدتهما الصحية ونكهتهما الفريدة، إلى جانب ذلك تزرع أنواع أخرى من الخضروات التي تلبي احتياجات السكان المحليين وتساهم في دعم الاقتصاد وتمارس فلاحتها في أحواض الأودية وفي المناطق الداخلية وكذلك في

¹ يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 164-165.

² مارمول كاربخال ، إفريقيا ، ج 2 ، تر أحمد حجي وآخرون ، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1988 م ، ص 28.

³ حبيبة سعدي ، حفصة عمران ، السوق الأسبوعي في منطقة زواوة وأبعاده الاجتماعية خلال العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي (1881-1518 م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث ، جامعة البويرة ، 2016-2017 م ، ص 53.

⁴ يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 165.

البساتين المسقية على الساحل¹، وغير المسقية وتزرع هذه الأخيرة عادة في الحقول الصغيرة المحيطة بالقرى مثل قرية "تبرار" حيث تمنح عناية خاصة لا سيما فيما يتعلق بمحاصيل مثل الخرشوف البري "ثاقا" الذي ينمو بشكل طبيعي في السهول القريبة بسهولة ويسر .

أما البساتين المسقية فتنتشر على نطاق واسع في مختلف المناطق، حيث تعتمد على نظام الري، مما يسمح بزراعة مجموعة متنوعة من المحاصيل مثل الذرة والبصل والثوم إضافة إلى نباتات مثل الكزبرة، القرع، البطيخ الشمار، وتزرع هذه المحاصيل في بعض المناطق بالاعتماد على تقنيات زراعية تبرز خبرة المزارعين في إستغلال الموارد المتاحة، ما يعزز من إنتاجية الأراضي الزراعية².

يتأثر إنتاج الخضر بشكل كبير بالعوامل العديدة من أبرزها العوامل الطبيعية خصوبة التربة ووفرة المياه، فالتربة الخصبة التي تحتوي على نسب عالية من المواد العضوية والعناصر الغذائية تساهم في تحسين جودة المحاصيل وزيادة كميتها، مما ينعكس ايجابياً على المردود الزراعي، أما وفرة المياه فهي عامل حاسم آخر حيث تعتبر الرياح الموسمية والأمطار الموسمية مؤشرة على نمو الخضر، أما في المناطق التي تقتقر إلى المياه الوفيرة من انتاج محدود، مما دفع السكان إلى تطوير طرق زراعية تعتمد على الري التقليدي وكذلك إستغلال الأمطار³.

• **زراعة الأشجار المثمرة (الفواكه):** تعد زراعة الأشجار المثمرة واحدة من أهم مكونات الثروة الزراعية في جبال القبائل، حيث تلعب دوراً محورياً في تحسين مستوى المعيشة ورفاهية السكان في المستقبل وتتميز هذه الأشجار بفوائد مزدوجة فهي تساعد في تثبيت التربة و الحد من تآكلها من جهة وتوفر إنتاجية عالية تتفوق على محاصيل الحبوب من

¹ المرجع نفسه ، ص165.

² هانوتو ، المصدر السابق ، ص 617.

³ يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 166.

حيث القيمة والعائد في نفس المساحة من جهة أخرى¹ لذلك تعتبر أكثر زراعات استقطابا للزواوين²، لأنهم أدركوا أهمية هذا النشاط فسعوا إلى توسيع المساحات المزروعة بالأشجار المثمرة بشكل مستمر، مستغلين الأراضي السفلي التي كانت في السابق غير منتجة أو غنية بالأشجار المثمرة مما ساهم في تعزيز الإقتصاد المحلي³. وفي المنطقة تزرع مجموعة متنوعة من الأشجار المثمرة مثل أشجار التين والزيتون والكروم والرومان والبرقوق والليمون⁴ و البلوط والسفرجل و التفاح والإجاص مما يضيف تنوعاً كبيراً للإنتاج الزراعي⁵.

ضمن هذه الأشجار المثمرة التي تتم زراعتها، تبرز أربعة أنواع بشكل خاص تستحق الإهتمام نظراً لقيمتها العالية وإنتاجها المتميز، هذه الأنواع هي الزيتون والتين والبلوط الحلو، والعنب، التي تلعب دوراً مهماً في دعم الإقتصاد الزراعي وتوفير مصادر غذائية متنوعة و مغذية⁶.

ومن بين هذه المحاصيل مهمة، نذكر الزيتون كأحد أهم المنتجات الزراعية:

- الزيتون: تعد زراعة الزيتون من أهم الأنشطة الزراعية التي تستحوذ على اهتمام سكان منطقة زواوة، حيث تشكل العمود الفقري للنشاط الفلاحي في المنطقة، يعتبر الزيتون محصولاً رئيسياً له قيمة السكان المحليين⁷.

¹ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 625.

² كيسة بولجنت ، العادات والتقاليد في بلاد زواوة بين القرنين (17م-18م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2009-2010م ، ص 49.

³ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 625.

⁴ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 49.

⁵ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 625.

⁶ نفسه ، ص 626.

⁷ لخضر بوطبة ، المرجع السابق ، ص 224.

تنتشر أشجار الزيتون بكثافة في جبال جرجرة وحول كوكو وجماعة صهاريح. وحول حوض الصومام أيضا¹، حيث توفر التربة الخصبة والمناخ الملائم ظروفًا مثالية لنموها، كما تزرع هذه الأشجار في الحقول والبساتين الممتدة عبر مختلف المناطق² وقد استغلت على أكمل وجه، لأنها تعتبر أهم ثروة لدى السكان زاووة، وقد وصف بيربوجير الذي سافر من مدينة الجزائر إلى البويرة قائلاً : "انحدارنا إلى سهل يسر وجدنا مجموعة الأشجار الزيتون الجميلة في شكل باقة..."³.

تتميز هذه الزراعة بإنتاج زيت الزيتون الذي يعد من المنتجات الأساسية للسكان سواء للإستهلاك المحلي أو للتجارة⁴، إضافة إلى ذلك نجد أنها توفرت لديهم مختلف أنواع الزيوت سواء الحامضي أو المركز أو ذو اللون الأصفر الذي يعد من أحسن الأنواع أو الزيت الأخضر الذي يصنع من الزيتون الذي لم يصل إلى نضج تام⁵. بحيث شكلت هذه الزيوت من جهة أخرى المورد الأساسي في الزراعة ومادة أساسية في التغذية كما ذكرت سابقاً⁶. حيث يحرص السكان على توارث زراعتها والعناية بها عبر الأجيال⁷.

فلا تقتصر فوائد الزيوت على الإستخدام الغذائي بل تمتد لتشمل الإنارة التقليدية وصناعة الصابون، ما يجعلها عنصراً متعدد الإستخدامات يساهم في تلبية مختلف احتياجات السكن نجد أن الزيتون يستخدم في منطقة زاووة بطرق متنوعة تعكس الإستفادة القصوى من هذا المحصول الحيوي، يستهلك الزيتون مجففاً بعد تمليحه، أما أوراق شجرة الزيتون فتعد كعلف مغذ للحيوانات خلال فصل الشتاء مما يساهم في دعم الثروة الحيوانية في المنطقة بالإضافة إلى ذلك تستغل الفضلات المتبقية من الزيتون بعد عصره كوقود

¹ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 50.

² لخضر بوطبة ، المرجع السابق ، ص 224.

³ كيسة بولجنت، المرجع السابق ، ص 50.

⁴ لخضر بوطبة ، المرجع السابق ، ص 225.

⁵ كيسة بولجنت، المرجع السابق ، ص 50-51.

⁶ سعدي ميزان ، المرجع السابق ، ص 69.

⁷ لخضر بوطبة ، المرجع السابق ، ص 224.

حيث تستخدم كبديل عملي ومتوفر للحطب في الطهي والتدفئة ، نجد أن سكان منطقة نجحوا في توظيف جميع مواردها أي زيتون بشكل فعال لتحقيق اكتفاء ذاتي في مجالات مختلفة¹.

الزيتون في منطقة زواوة ليس مجرد محصول زراعي بل يمثل جزءاً مهماً من تراث السكان وعاداتهم، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخهم وهويتهم الثقافية، تعتبر شجرة الزيتون رمزاً للإستقلال والتواصل بين الأجيال².

ثانياً: تربية الماشية

في منطقة زواوة، كان وجود الحيوانات في كل منزل أميراً شائعاً وحتمياً حيث لعبت دوراً رئيسياً في حياة السكان اليومية، لم يكن هناك منزل يخلو من امتلاك حيوان واحد على الأقل، مهما كان بسيطاً. فقد كانت الحيوانات تعتبر مصدراً حيوياً للغذاء والمواد الخام، إلى جانب دورها في توفير وسائل النقل والزراعة، إلى جانب الأهمية الاقتصادية، كان امتلاك عدد كبير من الحيوانات دلالات اجتماعية واضحة، أن الأسرة التي كانت تمتلك أكبر عدداً من الحيوانات كانت تحضي بمكانة مرموقة وشأن أعلى في المجتمع³.

إلى جانب هذا نجد اهتمام القبائل بالحيوانات كحرفة تقليدية متوارثة عبر الأجيال وتتنوع الحيوانات التي يرببها سكان المنطقة لتلائم متطلبات حياتهم وظروفهم المعيشية⁴ مثل الأغنام والبقر والجمال، تستخدم هذه الحيوانات لتوفير الغذاء من خلال منتجاتها المختلفة كاللحوم والألبان، كما تستغل كوسائل نقل تقليدية تسهل التنقل مثل الجمال والبغال والخيول التي لعبت دوراً بارزاً في حياة السكان منذ القدم⁵. نجد أن الأغنام والمعز و الإبل

¹ سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 69.

² كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 51.

³ نفسه ، ص 54.

⁴ عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، موقع للنشر ، 1995م ، ص 175.

⁵ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 45.

نستخدم بصفة خاصة في إنتاج اللحوم والشحوم، بالإضافة إلى الأصواف والجلود التي تعد مواد أولية لصناعات عديدة، أما البقر فيستغل أيضا في حرث الأرض وتحضيرها للزراعة¹، إلى جانب ذلك، كان السكان يمتلكون الثيران التي تعتبر من أهم الحيوانات لديهم، نظراً لما تتمتع به من قوة وقدرة على تحمل الأعمال الشاقة، وقد لعبت الثيران دوراً محورياً في حياة المزارعين، حيث كانت تستخدم بشكل رئيسي في حرث الأرض وتجهيزها للزراعة، مما ساعد في زيادة إنتاجية المحاصيل وتحسين جودة الأراضي الزراعية، لم تقتصر أهمية الثيران على الحرث فقط، بل أصبحت رمزاً للقوة والعمل في المجتمع الزراعي الزواوي، وبفضل خاصيتها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الأنشطة الزراعية وحياة السكان اليومية².

بالإضافة إلى هذا نجد أن سكان زواوة اهتموا بتربية النحل الذي يعتبر من الأنشطة التقليدية المهمة التي مارسها سكان، تشير الإحصائيات الخاصة بمنطقة القبائل لعام 1866م، إلى أن عدد خلايا النحل في المنطقة بلغ حوالي 8.480 خلية، يمتلكها 1.219 مربّي نحل، يظهر هذا العدد الكبير الاهتمام الواسع بتربية النحل منذ القدم بحيث تميزت زواوة ببيئة طبيعية غنية تدعم بتربية النحل حيث كانت النباتات المتنوعة و الأزهار المتوفرة مصدراً أساسياً لرحيق النحل، إلى جانب إنتاج العسل الذي اشتهر بجودته كان السكان يستفيدون من الشمع و منتجات النحل الأخرى التي تستخدم في الإضاءة والصناعات التقليدية³.

إلى جانب الأنشطة التقليدية مثل تربية النحل لجأ بعض سكان زواوة إلى امتلاك الكلاب، التي كانت تستخدم بشكل أساسي لحراسة المنازل وحمايتها من التهديدات المحتملة، وعلى الرغم من الدور الحيوي لهذه الحيوانات في توفير الأمن، إلا أن انتشار الكلاب لم يكن واسعاً بين السكان، في المقابل حظيت تربية الدواجن باهتمام أكبر بين سكان المنطقة،

¹ يعي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 167.

² كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 54.

³ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 640-641.

حيث كانت تعد خيارًا عمليًا ومفيدًا لتلبية احتياجاتهم الغذائية، بحيث اهتموا بتربية الدجاج الذي يوفر كميات وفيرة من البيض، مما جعله مصدرًا غذائيًا أساسيًا يلبي احتياجات العائلات اليومية. لقد شكلت تربية الدواجن والكلاب معًا جزءًا من النسيج الإقتصادي والإجتماعي لسكان زواوة¹، حيث عبرت عن تكيفهم مع احتياجاتهم اليومية وظروفهم الإقتصادية، مما يعكس المرونة في استغلال الموارد المتاحة لتحقيق الإكتفاء الذاتي².

تعددت العوامل التي ساعدت على ازدهار تربية الحيوانات في زواوة خلال العهد العثماني:

أولاً، وفرت الطبيعة الغنية في المنطقة بما فيها التنوع النباتي والمناخ الملائم أي بيئة مناسبة لتربية النحل وإنتاج العسل.

ثانياً، ساعدت الحاجة الزراعية على استخدام الثيران في حث الأراضي بفضل قوتها الكبيرة، مما عزز دورها في النشاط الزراعي.

بالإضافة إلى ذلك، كان للأوضاع الإجتماعية والإقتصادية دور في اختيار الحيوانات المناسبة، حيث لجأ السكان إلى تربية الدواجن بسبب تكاليفها المنخفضة وسهولة تربيتها لتوفير البيض بكميات كبيرة.

كما شجعت الحاجة إلى الأمن بعض الأسر على امتلاك الكلاب لحراسة المنازل، وإن كان انتشارها محدودًا.

عموماً، تكيف السكان مع الظروف الطبيعية والإحتياجات اليومية، مما ساعد على تنوع الأنشطة المرتبطة بتربية الحيوانات في المنطقة.

¹ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 55.

² آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 46.

وصفوة القول فإن منطقة زواوة خلال العهد العثماني، تميزت نشاطاً اقتصادياً متنوعاً تمحور حول الفلاحة وتربية الحيوانات، اعتمد السكان على زراعة الحبوب كالقمح والشعير، إضافة إلى الأشجار المثمرة مثل الزيتون والتين التي كانت تشتغل مصدراً هاماً للغذاء والدخل. استخدمت في الزراعة تقنيات تقليدية تتناسب مع طبيعة المنطقة الجبلية. كما اعتمد السكان على تربية الأغنام والماعز لتوفير اللحوم الحليب، الصوف، ما ساهم في تعزيز الإكتفاء الذاتي والتجارة المحلية.

واجهت الفلاحة والرعي تحديات طبيعية قاسية أثرت على الإنتاج مثل الفيضانات التي كانت تتلف المحاصيل، وانتشار الجراد الذي كان يقضي على النباتات، والجفاف الدوري الذي أدى إلى شح المياه.

أضف إلى ذلك التضاريس الوعرة التي حدت من إمكانية التوسع الزراعي واستغلال الأراضي المنخفضة مما أجبر السكان على زراعة المدرجات الجبلية.

إلى جانب هذه العوامل الطبيعية، تأثرت الأنشطة الاقتصادية بالضرائب الثقيلة التي فرضتها الإدارة العثمانية، ما شكل عبئاً إضافياً على سكان المنطقة. ورغم ذلك أظهر السكان مرونة كبيرة في التكيف مع الظروف ما ساعدهم على الحفاظ على نمط معيشتهم التقليدي وتأمين احتياجاتهم الأساسية.

المبحث الثاني: الصناعات التقليدية في زاوة.

النشاط الصناعي الحرفي في المجتمع الزواوي كان له دور محوري ومكانة مرموقة، حيث ارتبط بشكل وثيق بتلبية احتياجات السكان في شتى مجالات الحياة فقد تمكن الحرفيون من إنتاج العديد من المواد المصنعة التي ساهمت في تحقيق الإكتفاء الذاتي للسكان، سواء في الجوانب الاقتصادية أو الاجتماعية أو التجارية، كما لعبت هذه الصناعات دوراً كبيراً في تسهيل الحياة اليومية وتلبية المتطلبات الأساسية للمجتمع، مما ساهم في تعزيز الإستقلالية الاقتصادية وتقوية النسيج الاجتماعي عبر الأجيال¹.

يبني سكان المنطقة زاوة نمط حياتهم على مجموعة متنوعة من الأنشطة والصناعات، والتي تشمل ما يلي:

أولاً: الصناعات المعدنية والزخرفية

- الصناعات المعدنية:

خلال العهد العثماني، ازدهرت الصناعات المعدنية في المنطقة زاوة، حيث لعبت دوراً مهماً في النشاط الاقتصادي المحلي، كان الحرفيون في هذه المنطقة معروفين بمهارتهم في تشكيل المعادن².

- صناعة المعادن:

يشير مارمول كاربخال إلى أن سكان زاوة كانوا متمرسين في صناعة البارود مستفيدين من توفر معادن الملح البارود في أراضيهم³، وقد اشتهرت منطقة آث يني الواقعة

¹ محمد أرزقي فراد ، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749-1949م) ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 2010-2011م ، ص33.

² ليلى وزناجي ، الحرف والصناعات في منطقة زاوة خلال العهد العثماني بالجزائر ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، 2020-2021م ، ص 25.

³ مارمول كاربخال ، المصدر السابق ، ص 374.

في جبال جرجرة وآث عباس الواقعة في جبال الببيان بتميزهما في إنتاج البارود والأسلحة النارية، حيث كان البارود أيضا يصنع باستخدام مكونات أساسية مثل الفحم، نترات البوتاسيوم، والكبريت مع اتباع طرق دقيقة ومهارات متقدمة في التصنيع، نتيجة جودة الإنتاج والدقة العالية التي اتسمت بها هذه الصناعة، أصبحت الأسلحة النارية والبارود المنتج في هاتين المنطقتين تحظى بسمعة طيبة و إقبال واسع في الأسواق المحلية والإقليمية، مما أسهم في تعزيز النشاط الاقتصادي لهما¹.

كما كانت أراضي المنطقة غنية بالمعادن الحديد، مما أتاح لهم تطوير مهارات متميزة في صناعة السيوف والخناجر والرماح، وعلى الرغم من عدم توفر الفولاذ لديهم، فقد استطاعوا التعويض عنه باستخدام الحديد، حيث كانوا يشكلونه على هيئة قضبان طويلة تصنع في قدور من الطين أو الغدران بعد ذلك يعالج بعملية متقنة تشمل غمسة في الماء الرمال، والأعشاب، ثم يعاد تسخينه ليكتسب صلابة تقارب صلابة الفولاذ²، إلى جانب ذلك فقد كان الحديد المستخرج من بلاد القبائل يستخدم بشكل واسع في صناعة مجموعة متنوعة من الأدوات المنزلية والصناعية، من بين هذه المنتجات، برزت الأواني والصحون الحديدية التي كانت تصنع بدقة وبراعة لتلبية احتياجات السكان المحليين³، حيث كان يتميز بجودته من خلال متانته بصورة عامة، إذ أنه لم يكن هناك اهتمام كبير بتصدير هذا المورد خارج حدود بلاد القبائل⁴، لأنه يبقى أقل جودة من الذي يجلب إليهم من أوروبا⁵.

اشتهر الحرفيون أيضا في منطقة القبائل بصناعة البنادق عالية الجودة التي تتميز بطولها الذي يتراوح بين 6 أو 7 أقدام، تمتاز هذه البنادق بماسورة مثنى الشكل بدلاً من

¹ فراد ، المرجع السابق ، ص 33-34.

² مارمول كاريخال ، المصدر السابق ، ص 374-375.

³ فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837 م) ، تروثق أبو العيد دودو ، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، 2007 م ، ص 141.

⁴ وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياح البحر ، تع وثق عبد القادر زبادية ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص 141.

⁵ مارمول كاريخال ، المصدر السابق ، ص 375.

المربعة، مع مقبض يمتد حتى منتصف الماسورة، وقاعدة ذات زوايا فريدة، غالبًا ما تزين هذه البنادق بالأحجار الكريمة أو الجواهر الصغيرة متعددة الألوان ما يضيف إليها طابعًا جماليًا مميزًا، بالإضافة إلى ذلك يغطي أسفل البندقية عادة بالنحاس أو يزخرف بخشب فاخر، ورغم ثقل هذه البنادق فإن سكان المنطقة يفضلونها بشكل كبير ويرفضون استبدالها.

ورغم تركيز سكان القبائل على صناعة البنادق والأدوات الحديدية، فقد كانوا أيضًا يبدون اهتمامًا كبيرًا باستخراج المعادن الثمينة من جبالهم الغنية بالموارد الطبيعية، كانوا يبذلون قصارى جهدهم في استغلال هذه الثروات المعدنية، كما أشار شلوصر في حديثه عن المنطقة، وأوضح أنه رأى بنفسه عددًا من السبائك الفضية التي عرضها عليه أحد وجهاء القبائل، والتي تتراوح طولها بين 15 و16 بوصة، مما يدل على مهارتهم في استخراج وتصنيع المعادن الثمينة وتوظيفها في أنشطتهم الاقتصادية المختلفة¹.

- صناعة النقود (صك العملة):

إن الحاجة الملحة إلى النقود دفعت سكان زواوة إلى ابتكار حلول عملية تلبي احتياجاتهم الاقتصادية. وقد أدى ذلك إلى إنشاء ورشات محلية متخصصة في صك العملات². هذا النشاط ارتبط بمهارتهم الفائقة في تزييف العملة، التي أصبحت جزءًا من حياتهم الاقتصادية بجانب اعتمادهم الأساسي على الزراعة والصيد، براعتهم في هذه الحرفة بلغت مستوى عاليًا من الإتقان، حيث يصعب في بعض الأحيان التمييز بين العملات الأصلية والمزيفة، مما يعكس روح الإبداع والتكيف مع الظروف التي تميز سكان المنطقة³.

كانت هناك طريقتان لصناعة النقود:

- الأولى، تعتمد على استخدام قوالب تصب فيها المعادن المصهورة.

¹ نفسه ، ص 97.

² آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 48.

³ كليسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 58-59.

- الثانية، تتم باستخدام قالب ومطرقة.

غير أن القطع الناتجة عن الطريقة الأولى غالبًا ما تكون غير واضحة التفاصيل، مما يجعل التعرف عليها سهلاً للغاية، لذلك، يفضل الحرفيون المتخصصون في هذا المجال الإعتماد على طريقة السك كلما أمكن ذلك¹.

وفي هذا السياق توجد قرية "آيت العربا" هي قرية كبيرة تتبع قبيلة بني يني اشتهرت بممارسة هذه الصناعة سك العملات المعدنية، حيث كانت هذه الورش تعد من أهم المراكز المختصة بهذا النشاط، ولا تزال توجد ورش أقل أهمية في قرى مجاورة مثل، "آيت علي" و "حرزون" على 15 كيلوا مترًا جنوب شرق "آيت العربا"، والتي تبعد حوالي 40 كيلوا مترًا عن الجزائر العاصمة².

تستخدم للإنتاج قطع نقدية تحمل صورًا لذلك، اقتصر عمل مزوري النقود على تقليد العملات التونسية والعملات المستخدمة خلال العهد العثماني في الجزائر، حيث كانت هذه العملات تكتفي بنقوش كتابية دون وجود صور³. يتخذ المؤرخون في المنطقة موقعًا محصنًا على قمة جبل يصعب الوصول إليه وهذا من الحيلة والحذر⁴، بحيث يسمح ببيع العملة المزورة في الأسواق، ولكن بشكل غير علني، حيث يجب أن تتم هذه العملية بسرية تامة⁵.

نجد أنهم يقومون بتقليد العملات النقدية الفضية والذهبية التي تتداول في الأسواق العالمية، يتم تزويدهم بالمواد الخام من المناجم المجاورة، مثل النحاس والفضة، هذه المواد تأتي من مناطق مختلفة من البلاد، وحتى من الصحراء عبر الأشخاص يقدمون منتجاتهم مقابل العملات المقلدة أو مقابل نسبة من الأرباح تصل إلى 25%⁶.

¹ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 665-666.

² Daumas (E), Fabar (x) ، la Grande Kabylie : Etudes Historiques ، l'imprimerie ch. Nonchot ، 1847 ، p29.

³ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 667.

⁴ Daumas ، Op cit ، p29.

⁵ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 668.

⁶ Daumas ، Op cit ، p 28.

أصبح هذا النشاط غير القانوني مصدر إزعاج كبير للسلطة العثمانية التي عجزت عن اختراق هذه المعاقل الحصينة. وللتعامل مع الوضع لجأت أحيانا إلى أسلوب الترغيب من خلال تقديم عرض لحرفي "آث يني" يقضي بانتقالهم إلى الأراضي السهلية في وادي سيباو مقابل تخليهم عن هذا النشاط الذي يضر بإقتصادها، وفي أحيان أخرى استخدمت السلطة أسلوب التهيب لمحاولة القضاء عليه¹.

- صناعة الحلي:

يعد فن صناعة الحلي من الفنون العريقة لدى القبائليين، حيث اشتهروا باستخدام الفضة كمعدن ثمين وأساسي في تصميم حليهم التقليدية، ولعل ما يميز هذا الفن هو اقتصارهم على الفضة دون اللجوء إلى استخدام الذهب، مما أضفى طابعا خاصا وأصيلا على حليهم الفريدة².

ويتميز هذا النشاط في هذه المنطقة تحديداً باعتماده على الجهود الجماعية، حيث يشارك فيه الرجال والنساء وحتى الأطفال، مما يعكس روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع³.

ولقد اشتهرت بهذا النشاط ثلاث قرى رئيسية، وهي آث لحسن، آث لربعا، ثاوريرت ميمون. وقد تميزت هذه القرى بإتقانها لفن صناعة الحلي التقليدية حيث أصبحت مركزاً هاماً للإبداع الحرفي، مما ساهم في ترسيخ هذا التراث الثقافي عبر الأجيال والمحافظة عليه كجزء من الهوية المحلية⁴.

¹ فراد ، المرجع السابق ، ص 35.

² هانوتو ، المصدر السابق ، ص 673.

³ وزناجي ليلي ، المرجع السابق ، ص 26.

⁴ فراد ، المرجع السابق ، ص 34.

يتميز هذا النوع من الحلي بتنوع كبير في أشكاله، ويشمل العقود والأساور والخلاخيل و الأقراط (أنظر الملحق 2) التي تستخدم كزينة للجسم، بالإضافة إلى أشكال أخرى تضاف لتكمل أناقة الملابس¹.

يمكن تصنيف الحلي التقليدية إلى نوعين رئيسيين:

النوع الأول، يتميز بطلائه بمواد خاصة تضافي عليه بريقًا إضافيًا. بينما يتميز النوع الثاني، بالبساطة والجمال الطبيعي حيث يقتصر زخرفته على استخدام قطع المرجان وبعض النقوش المصممة بدقة باستخدام تقنية الجلفاط. يعكس كلا النوعين مهارة الصانعين وإبداعهم في تقديم تصاميم فريدة².

تمركزت الفضة في هذه أي زواوة كعنصر رئيسي، حيث يعتقد أنهم استخدموها في عمليات صهر متقدمة، تبدأ العملية بتسخين الفضة الخام عند درجة حرارة تصل إلى 926 درجة مئوية، وهي مرحلة أولية تؤدي إلى تحويل المعدن إلى حالته السائلة، بعد ذلك يصب المعدن المصهور في قوالب مخصصة متبوعة بمراحل تشكيل وتقنية إضافية حسب الحاجة، سواء لإنتاج قطع جديدة أو لإصلاح قطع مكسورة³.

ونذكر الآن بشكل مفصل أبرز المجوهرات الفضية المصنوعة في المنطقة فتشمل مجموعة متنوعة من القطع التقليدية مثل البروشات التي تستخدمها النساء لربط أو تثبيت ملابسهن، بالإضافة إلى ذلك هناك التاجات تيعصابين التي تصنع من عدة قطع من الحلي المطلية والمتصلة بسلاسل، وأيضا الحلي الدائرية ثيفزمين، المزورة بزخارف صغيرة تتدلى منها عناصر متنوعة مثل ثيزلافين و ثيكفسين والتي ترتديها المرأة عادة على جبينها، وتشمل هذه المجوهرات أيضا الخلاخل، والأقراط، والخواتم، ومقابض المسدسات، وقنوات الغليون، مما يعكس غنى وتنوع التراث الفني في المنطقة⁴.

¹ غابرييل كامب ، المرجع السابق ، ص 346.

² هانوتو ، المصدر السابق ، ص 674.

³ وزناجي ليلي ، المرجع السابق ، ص 27.

⁴ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 676.

الصناعات الخزرفية

- صناعة الفخار :

تعد صناعة الفخار من أبرز الحرف التقليدية التي ازدهرت خلال العهد العثماني حيث استخدمت لتلبية الإحتياجات اليومية لسكان المدن والقرى تميزت الصناعة بالبساطة والإبتكار في تشكيل الأواني، إذ اعتمدت على مواد أولية محلية مثل الطين، وأضيفت إليها زخارف تعكس الهوية الثقافية للمنطقة، وقد لعبت النساء دورًا بارزًا في هذه الصناعة¹، بحيث اقتصر على النساء فقط، حيث امتنع الرجال عن ممارستها لاعتقادهم أنها تتعارض مع كرامتهم الاجتماعية²، مما نجد المرأة القبائلية تتقن هذا العمل بإحترافية مما يعكس ذوقهن الرفيع في اختيار التصاميم³.

تعد طريقة صنع الفخار في زواوة مميزة، حيث انتشرت فيها الجرار ذات الرقبة العريضة الأسطوانية والمستندة إلى بطن شبه كروية ذات قاعدة مسطحة، تبدأ عملية التصنيع بوضع بطانة من خليط أكسيد الحديد والطين الناعم الممزوج بالماء على سطح الفخار، وذلك باستخدام قطعة قماش أو صوف أو فرشاة، قبل حرقه.

أما الزخرفة الفخار، فيستخرج اللون الأحمر من كرات صفراء شاحبة تعرف بـ "المغزة"، التي تجمعها النساء من الوديان، يقوم الخزاف بسحقها وإضافة الماء تدريجيًا، أو تعريضها لحرارة عالية للحصول على اللون لأحمر البرتقالي، ينتج عن هذه العملية فخار قبائلي مميز بخلفية حمراء جزئيًا مغطاة باللون الأبيض⁴.

في العديد من القرى، يقتصر إنتاج الفخار على تلبية احتياجات الأسرة أو القرية فقط، حيث يتم صنع الكمية المطلوبة لاستخدام اليومي دون التركيز على الإنتاج التجاري

¹ غابرييل كامب ، المرجع السابق ، ص 329-330.

² هانوتو ، المصدر السابق ، ص 662.

³ نفسه ، ص 663.

⁴ Gamps (G) ، Encyclopedie Berber ، T17 ، Douiret-ecropau imprime ، France ، 1996 ، p 2639-2642.

ومع ذلك، هناك بعض القبائل التي تتجاوز هذا النطاق وتعمل على تسويق فائض إنتاجها من الفخار إلى خارج المنطقة. ومن بين هذه القبائل البارزة (آث خليلي، آث ايراشن، آث يني، معائقة، آث عيسى).

تميزت هذه القبائل بمهارتها في صناعة دخل إضافي، حيث يقوم بتصدير منتجاتها إلى الأسواق القريبة والبعيدة، مما يسهم في نشر التراث الحرفي الخاص بها وتعزيز الاقتصاد المحلي¹.

ثانيا: الصناعات الغذائية والمنزلية

- الصناعات الغذائية:

صناعة الزيت:

وتعتبر الصناعات الغذائية أيضًا من أهم الصناعات، تعتبر منطقة زواوة من أبرز المناطق التي اشتهرت بصناعة زيت الزيتون حيث تعتمد هذه الصناعة بشكل كبير على أشجار الزيتون التي تنتشر بكثافة في المنطقة، يتم تطعيم العديد من هذه الأشجار للوصول إلى إنتاجية عالية وجودة ممتازة، إذ يمكن أن تصل أحيانا إلى حجم شجرة الجوز، يعد زيت الزيتون المستخرج عالي الجودة أحد المكونات الأساسية في غذاء السكان المحليين².

تبدأ عملية تحضير زيت الزيتون في المنطقة بمجرد أن تتحول حبات الزيتون إلى اللون الأسود³، حيث يباشر السكان في جمع الثمار من الأشجار في توقيت موحد يستخدم في هذه العملية أسلوب تقليدي يتمثل في نفخ الزيتون من الأشجار و التقاطه من الأرض.

¹ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 664.

² Daumas ، Op cit ، p 30.

³ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 51.

وتعد هذه المرحلة ذات طابع جماعي إذ ينتشر سكان القرى في الجبال تحت ظلال الأشجار، منهمكين في العمل من شروق الشمس إلى غروبها دون توقف¹.

بعد انتهاء عملية الجمع، يحفظ الزيتون في أحواض خشبية ليصبح جاهزاً للعصر يتم عصر الزيتون إما باستخدام المعاصر التقليدية (أنظر الملحق 3) أو الأحجار الرحي ومن الطرق القديمة التي لا تزال تستخدم في بعض القرى أن تقوم النساء بدور مهم في هذه العملية، حيث يعفّس الزيتون بأرجلهن ليصبح عجينة يتسرب منها الزيت عند الضغط عليها².

ولتحقيق هدف صناعة زيت الزيتون بالشكل أفضل تتوفر أمام كل قرية معصرتان أو ثلاث معاصر ذات ميدان واسع لتسهيل عملية عصر زيت زيتون مشاق نقله³.

وفيما يتعلق بتصميم المعصرة، فهي تتألف من طاولة خشبية مصممة على شكل حوض بعمق يتراوح بين 0.3 و 0.4 متر، تحتوي على ثقب في أحد جوانبها يسمح بخروج الزيت، على طرفي الطاولة، تثبت دعامتان خشبيتان بإحكام في الأرض وتربط بينهما عارضة علوية مزودة في منتصفها بثقب ملولب، يمر عبر هذا الثقب لولب عمودي بقطر يتراوح بين 0.18 و 0.20 متر، ويتم التحكم بحركته بواسطة رافعة⁴.

توجد أنواع متعددة من الزيوت التي تختلف فيما بينها من حيث النكهة وعلى تفاوت أسعارها، يعتمد هذا التنوع على عوامل مثل نوع الزيتون المستخدم، وطريقة العصر ومدى نقاء الزيت، مما يجعل كل نوع يتميز بخصائص فريدة تلبي احتياجات وأذواق مختلفة⁵.

¹ شلوصر ، المصدر السابق ، ص 91.

²Daumas ، Op cit ، p 26.

³ شلوصر ، المصدر السابق ، ص 96.

⁴ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 649.

⁵ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 52.

يستخدم الزيت في العديد من الفوائد، مثل الإنارة وصناعة الصابون، بينما تستغل الفضلات المتبقية بعد عصر الزيت، مثل القشور واللب كوقود جيد للإشتعال يتم تصدير الزيت معبأ في أوعية جلدية إلى مناطق مثل الجزائر وبجاية ودلس وسطيف، بالإضافة إلى توزيعه في كافة الأسواق الداخلية¹.

الصناعات المنزلية

- صناعة النسيج:

تعد صناعة النسيج من الحرف اليدوية التي تقوم بها النساء، حيث احتكرن هذا النوع من الصناعات المنتشرة على نطاق واسع في مختلف القرى². بحيث نجد أن المرأة القبائلية لعبت دوراً بارزاً في تطوير صناعة النسيج، حيث تقوم بإنتاج أجود المنسوجات البربرية لتلبية احتياجات الأسرة من الملابس مثل البرنوس، الجلابة، الحايك، سراويل الصوف وعباءة الكتان، بالإضافة إلى الأفرشة مثل المقاطف والزرابي³. (أنظر الملحق 4)

وما ساعد في تطور صناعة النسيج في تلك المناطق هو وفرة المادة الأولية المتمثلة في الصوف المتوفر بكثرة في جبال زواوة وحتى سهولها، ففي كل عام يحصل السكان على كميات كبيرة من الصوف من ماشيتهم الكبيرة والصغيرة، ويتم تحويل هذا الصوف إلى مجموعة متنوعة من المنتجات مثل الملابس والأغطية التي تلبي احتياجات السكان اليومية كما يتم استخدام هذه المنتجات في عمليات التبادل التجاري مع المناطق المجاورة، مما يعزز الاقتصاد المحلي ويحقق الإكتفاء الذاتي لسكان المنطقة. على سبيل المثال، بلغت صناعة النسيج في المنطقة آث عباس بنواحي مجانة⁴ درجة عالية من الجودة، حيث اشتهر البرنوس المصنوع هناك وأصبح مطلوباً في

¹ محمد سي يوسف ، مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي " ثورة بوبغلة " ، دار الأمل ، الجزائر ، 2000م ، ص 15.

² آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 49.

³ مفتاح خلفات ، قراءة في مخطوط " هذه كيفية سيرة زواوة " ، مجلة العلوم الإنسانية ، المسيلة ، الجزائر ، مجلد ب ، عدد 42 ، 2014م ، ص 62.

⁴ مجانة : هي منطقة تاريخية تقع في شمال الجزائر ، وتحديدا في ولاية برج بوعريج و تعرف مجانة بتاريخها العريق كمنطقة زراعية وتجارية واشتهرت منذ القدم بإنتاج الصوف وصناعة النسيج لاسيما التي كانت تصدر إلى مدن كبرى ...الخ ، ويقال ان اسم مجانة يعود إلى العصر الأمازيغي ، حيث يرتبط بمعاني تاريخية وجغرافية تعكس طابع المنطقة ...الخ ، للمزيد أنظر: حمدان خوجة، المرأة ، تق و تع و تح محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، 2005م ، ص 97.

أسواق كبرى مثل قسنطينة وتونس والمغرب، يعكس هذا المثال ما ذكرته سالفًا مدى ازدهار صناعة النسيج في تلك المناطق واعتمادها على المادة الأولية¹.

ولعل ما يميز زواوة خلال تلك الفترة هو ما أشار إليه الجنرال دوماس حيث أكد أن صناعيتين تفوقتا على جميع الصناعات الأخرى من حيث الانتشار والأهمية، وهما إنتاج الزيت باستخدام معاصر بدائية وصناعة العملة المزيفة².

في ختام الحديث عن الصناعات التي ازدهرت في منطقة زواوة خلال العهد العثماني، يتضح أن المنطقة عرفت تنوعًا كبيرًا في النشاطات الإقتصادية والصناعية، كانت الحرف التقليدية مثل النسيج، وصناعة الفخار، والأدوات المعدنية، إضافة إلى الزراعة تشكل أساس اقتصاد المنطقة.

هذا التنوع الصناعي يعكس قدرة سكان المنطقة على التأقلم مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية، مما جعل زواوة تلعب دورًا هامًا في المشهد الاقتصادي خلال تلك الفترة.

- صناعة الخشب:

اكتسب الخشب أهمية كبيرة لدى سكان زواوة، حيث كانت الغابات الكثيفة الممتدة في المناطق المرتفعة مثل (تامقوت، جرجرة، أكفادو) وتوفر موردًا طبيعيًا ثمينًا³.

ازدهرت صناعة الخشب في منطقة زواوة بفضل التنوع الكبير للأشجار الغابية المنتشرة في غاباتها، مثل (الدردار، الفلين، السرو، الساج، العرعار، الصنوبر، البلوط، السندين، الأرز، الزان، الطرفاء).

¹ فراد ، المرجع السابق ، ص 34.

² Daumas ، Op cit ، p232.

³ فاهيمة مبارك ، المرجع السابق ، ص 26.

وقد أسهم هذا التنوع في توفير خدمات متعددة تستخدم في مجموعة واسعة من الصناعات المنزلية، مثل (صناعة الموائد¹، الأبواب²، القباقب، المغارف، الصحن، المهارس).

بالإضافة إلى ذلك اعتمد سكان المنطقة الخشب في صناعة مراكب الصيد، بما في ذلك السفن والقوارب كما استخدم في بعض الأدوات الحربية مثل الأقواس، التي كانت تصنع بشكل خاص من خشب شجر الزان، لما يتمتع به من متانة وقوة³.

لا يمتلك الحرفي القبائلي سوى أداة بسيطة لمعالجة الخشب، وهي أداة حديدية ذات شكل كروي ومنحن عند طرفها، مزودة بمقبض خشبي يبلغ طوله حوالي 0.20 متر، تعرف هذه الأداة باسم "أنشاب"، ويحتفظ كل حرفي بمجموعة منها بأحجام مختلفة ولكن بنفس التصميم. تشد هذه الأدوات باستخدام صخر حثائي أحمر يجلب من جبال جرجرة، أما الخشب المستخدم في صناعة اللجفون، فيتم الحصول عليه من أشجار الدردار والميس، لما يتميز به من جودة ومتانة تلائم هذه الصناعة⁴.

يلخص ابن خلدون في مقدمته فوائد الخشب وأهميته مشيرًا إلى أنه يستخدم في العديد من ضروريات الحياة، فهو يعد أولاً، وقوداً للنيران التي يعتمد عليها الناس في معيشتهم، ثانياً، يستخدم كعصي للإتكاء والدفاع وغيرها من الحاجات الأساسية.

إضافة إلى كونه دعامة لما يخشى ميله من الأنتقال. ويعدد ابن خلدون المنافع الأخرى للخشب مميزاً بين استخداماته لدى أهل البدو وأهل الحضر، فأهل البدو يستعملونه لصنع العماد والأوتاد لخيامهم، والحدوج لنقل بضائعهم، وكذلك في صنع الأسلحة مثل

¹ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 233.

² Daumas (E) Moeurs et coutumes de L'Algerie : Tell -Kabylie-sahara، paris، Librairie de :Hachette، 1855، p 231.

³ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 233.

⁴ هانوتو، المصدر السابق، ص 684.

(الرماح والأقواس والسهام). أما أهل الحضر فيستخدمونه في بناء أسقف بيوتهم، وصنع الأبواب وأقفالها، إضافة إلى الكراسي التي يجلسون عليها¹.

المبحث الثالث: النشاط التجاري في زواوة

التجارة كما عرفها ابن خلدون، تتمثل في السعي لتحقيق الربح من خلال تنمية المال، وذلك عن طريق شراء السلع بأسعار منخفضة وبيعها بأسعار مرتفعة، سواء كانت هذه السلع مواد غذائية كالدقيق، أو منتجات زراعية، أو حيوانات، أو أي نوع آخر من البضائع، ولهذا يطلق على الزيادة المحققة اسم "الربح"².

كانت التجارة في المنطقة زواوة تشكل نشاطاً مكماً لكل من الزراعة والصناعة، حيث ساهمت بشكل كبير في تحسين ظروف المعيشة من خلال ما توفره من عوائد مالية وعينية³. لقد اعتمد التجار في أنشطتهم على تسهيل عملية التبادل التجاري التي تضمنت المشي والسفر والتنقل بين المناطق المختلفة ومن خلال هذه التجارة، تطورت وسائل كسب العيش وزادت الأرباح مما أسهم في تحسين مستويات الحياة للسكان⁴.

مارست القبائل نشاطها التجاري بشكل متميز، حيث كانت تساهم في حركة تبادل السلع بين مختلف المناطق، كما استفاد التجار من موقع الوادي الذي كان يعد رابطاً تجارياً مهماً، خاصة مع المناطق الساحلية والداخلية.

تطورت التجارة لتشمل مختلف البضائع، من المنتجات الزراعية مثل الزيتون والفواكه، إلى السلع الحرفية والصناعية، وبهذا أصبحت التجارة جزءاً أساسياً من الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مما أتاح مزيداً من التطور والتنمية⁵.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار الأرقم بن ابي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، 2016م ، ص 323.

² ابن خلدون ، العبروديان المبتدأ والخبر.....، ص 310.

³ فراد ، المرجع السابق ، ص 35.

⁴ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 685.

⁵ نفسه ، ص 686.

وانقسمت التجارة إلى نوعين الرئيسيين: التجارة على الصعيد الداخلي والخارجي.

أولاً: التجارة الداخلية

كانت تمارس في الأسواق المحلية، الحوانيت، والمعارض السنوية، حيث شملت جميع السلع والمنتجات التي يحتاجها السكان. وقد تضمنت هذه التجارة المنتجات والمصنوعات المحلية، بالإضافة إلى السلع المستوردة، مما ساهم في تلبية احتياجات المجتمع المحلي بشكل متكامل¹.

ومن بين أهم مكونات التجارة الداخلية في منطقة زاوة، نجد الأسواق التي لعبت دوراً محورياً في حركة التبادل التجاري، حيث شكلت مراكز حيوية للنشاط الإقتصادي والإجتماعي. وفيما يلي نستعرض دور الأسواق وأنواعها في تعزيز التجارة الداخلية.

- الأسواق:

حظي السوق في المجتمع الزواوي بأهمية كبيرة في حياة السكان، حيث شكل تجمعاً شعبياً ومكاناً رئيسياً للتسوق وتبادل المنتجات، بالإضافة إلى كونه فضاءً لتشكيل الرأي العام².

كانت لكل قبيلة سوقها الخاص يتميز بتنظيمات وقوانين مستمدة من أعراف القبيلة نفسها، ويشرف على تطبيقها مجموعة مختارة من طرف "ثاجماعت" وتتمثل مهمتهم في ضمان الأمن والاستقرار داخل السوق³.

كانت الأسواق في زاوة تعقد أسبوعياً وتحمل أسماء الأيام التي تنعقد فيها، مثل سوق الأحد في وازية، وآيت صدقة، وسوق الخميس في آث ايراثن وسوق الجمعة في قرية جمعة صهريج، الذي يعد من أبرز الأسواق في أهمية كبيرة نظراً لموقعه عند مفترق

¹ محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م ، ص 65.

² سعدي ميزان ، المرجع السابق ، ص 71.

³ حبيبة سعدي ، المرجع السابق ، ص 47.

الطرق بين قبائل قوية مثل "آيت منقلات"، بالإضافة إلى ذلك يعقد سوق السبت في قبيلة أمزابن، بالقرب من قرية جبلية، ويقال أن إجمالي الأسواق في المنطقة بلغ حوالي 68 سوقاً¹.

دعمت السلطة المركزية (العثمانية خاصة) الأسواق في المنطقة زواوة لكنها استغلتها أيضاً كوسيلة لفرض الضرائب على السكان²، حيث كانت ترسل مناشيرها وجباة الضرائب إلى الأسواق في أيام انعقادها كما كانت تسعى لتعقب الخارجين عن الطاعة³.

لعبت الأسواق في المنطقة زواوة دوراً رئيسياً في تعزيز التجارة الداخلية، حيث كانت مركزاً لتبادل المنتجات المحلية التي شكلت عما للاقتصاد المحلي ومن أبرز هذه المنتجات الزراعية الزيتون وزيت الزيتون والحبوب مثل القمح والشعير، إلى جانب الفواكه كالتين والعنب⁴. كما كانت الأسواق تعرض المنتجات الحرفية التي عرفت بها المنطقة، مثل الزرابي، الأدوات الفخارية، والمصنوعات المعدنية⁵.

بالإضافة إلى ذلك ساهمت المنتجات الحيوانية مثل الألبان، الصوف والجلود في تنشيط الحركة التجارية. هذه الأسواق لم تقتصر على تلبية احتياجات السكان بل كانت تسهم أيضاً في تحقيق التكافل الاجتماعي وتعزيز الروابط بين مختلف القرى والقبائل.

وفي إطار النشاط التجاري داخل الأسواق، اعتمد التجار على أساليب متعددة في تعاملاتهم التجارية أبرزها أسلوب المقايضة الذي كان شائعاً في تلك الفترة، وهذا الأسلوب الذي اعتمده تجار زواوة كان يتيح لهم مضاعفة أرباحهم بشكل كبير. فعند عودتهم إلى ديارهم بعد رحلات طويلة، كانوا يحملون معهم بضائع بدلاً من النقود⁶، نظراً لندرة النقود الذهبية في

¹ فاهيمة مبارك، المرجع السابق، ص 30.

² نفسه، ص 31.

³ سعيدي مزبان، المرجع السابق، ص 71.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص 481-482.

⁵ روبر مونتان، القبائل المغربية، تر عبد العزيز شهير، دار الحكمة، 1984 م، ص 217.

⁶ جمعي مولود، النشاط الإقتصادي التقليدي في منطقة القبائل، مجلة الدراسات المغربية، العدد 12، 1995، ص 99.

تلك الفترة¹، على سبيل المثال، كان التجار يأخذون الزيت والفواكه إلى المناطق المشهورة بإنتاج القمح والشعير حيث يقايضون منتجاتهم بهذه المحاصيل الزراعية².

إلى جانب ذلك، اشتهر تجار زواوة بتجارة العطور، حيث كانوا يشترونها من المدن ويبيعونها في المناطق العربية مقابل الحصول على الصوف هذا النمط التجاري لم يقتصر على تلبية احتياجاتهم فقط بل عزز أيضا من علاقاتهم الاقتصادية مع المناطق الأخرى³. وزبدة القول أنه شهدت المنطقة نشاطاً تجارياً واسعاً تمثل في تبادل وبيع المنتجات بين مختلف مناطق البلاد، وساهمت في ذلك عدة عوامل ومن أبرزها:

تحقيق التوازن بين العرض والطلب على السلع، حيث عمل سكان الوديان على نقل المحاصيل الزراعية الفائضة عن حاجتهم إلى الأسواق الداخلية واستبدالها بمنتجات يفقدون إليها.

كما ساهم وجود المصنوعات الحرفية المحلية، مثل الأنسجة الصوفية والأسلحة التقليدية، في تنشيط الحركة التجارية داخل المنطقة.

وكانت سهولة الإتصال بين السكان عبر الطرق والمسالك، إضافة إلى غياب الرسوم الجمركية على تداول السلع، عوامل أساسية في تعزيز التجارة الداخلية وتحقيق الاستقرار الاقتصادي⁴.

¹ فاطمة الزهراء مفتاح ، الأشراف ودورهم الاجتماعي والثقافي في العهد العثماني بالجزائر "بلاد القبائل أنموذجا" (1518-1830م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة المسيلة ، 2017-2018م، ص 29.

² فاهيمة مبارك ، المرجع السابق ، ص 31.

³ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 64.

⁴ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 52-53.

ثانيًا: التجارة الخارجية

شهدت منطقة زاوة (القبائل) نشاطاً تجارياً متنوعاً في إطار التجارة الخارجية، حيث ارتبطت بأوروبا من خلال الموانئ البحرية وبإفريقيا عبر القوافل التجارية الصحراوية¹، ساعد الموقع الجغرافي المميز للمنطقة، المطلة على الشريط الساحلي، في تعزيز انفتاحها على العالم الخارجي. وقد كانت الموانئ البحرية التابعة للمنطقة، مثل ميناء أزفون، دلس، بجاية، نقاط اتصال رئيسية للتبادل التجاري².

• التجارة مع إفريقيا:

اعتمدت التجارة مع إفريقيا على القوافل الصحراوية الكبرى، التي كنت تمر عبر المنطقة محملة بالسلع والمواد. كان لهذه القوافل أهمية كبيرة لسكان زاوة، إذ وفرت لهم فرصة للحصول على احتياجاتهم وبيع منتجاتهم ببتجار العابرين.

ساهمت هذه التجارة في تعزيز الوضع الإقتصادي للسكان بحيث كما ذكرت أنها أمنت لهم دخلاً من بيع المنتجات الزراعية والصناعات اليدوية، إلى جانب توفير المواد التي لم تكن متوفرة محلياً، كما ساعدت على خلق تواصل ثقافي وتجاري مع المجتمعات الإفريقية الأخرى³.

• التجارة مع أوروبا:

كانت الموانئ الساحلية تلعب دوراً أساسياً في النشاط التجاري مع أوروبا وقد شهد ميناء بجاية، إلى جانب ميناء أزفون ودلس تراجعاً في نشاطها خلال فترات معينة، إلى أنها استعادت أهميتها خلال فترة إمارة آل قاضي حيث استخدمت هذه الموانئ لتعزيز الاتصال

¹ العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 64.

² آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 36.

³ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 66.

مع العالم الخارجي¹. ومع ذلك فإن حيوية الموقع الجغرافي لمنطقة القبائل وحاجة السكان أعادت لهذه الموانئ محاولات استرجاع دورها في التجارة المتوسطية².

• الإشراف الإداري:

كانت منطقة القبائل تابعة إداريًا لبابليك الشرق في الجهة الشرقية، ولدار السلطان في الجهة الغربية، ونتيجة لذلك كانت حكومة الداى تشرف مباشرة على التجارة الخارجية سواء من خلال الهيئات الرسمية أو عبر الشركات التجارية التي أسسها الأفراد³، وعادة ما كانت تتم عبر الشركة الملكية الإفريقية، التي استحوذت على النصيب الأكبر من النشاط التجاري في الشرق الجزائري خاصة خلال أواخر العهد العثماني⁴.

- الصادرات والواردات:

كان النشاط التجاري في المنطقة زواوة يتميز بالتنوع بين الصادرات والواردات، مما عزز مكانتها كمركز اقتصادي مهم.

- الصادرات: كانت المنطقة تشتهر بإنتاج وتصدير عدة سلع مهمة إلى أوروبا و إفريقيا ومنها:

• الزيتون: شهدت تجارة تصدير زيت الزيتون في الفترة الأخيرة انتعاشًا ملحوظًا، حيث وجدت أسواقًا رائجة لدى الأوروبيون خاصة في المدن الساحلية الجزائرية مثل الجزائر العاصمة، دلس، بجاية، كان زيت الزيتون المنتج في منطقة زواوة يعتبر من أجود الأنواع بفضل جودة الأراضي الزراعية وأساليب الإنتاج التقليدية، مما جعله مطلوبًا بشكل كبير في الأسواق الأوروبية⁵.

¹ آيت سوكي ، المرجع السابق ، ص 51-52.

² نفسه ، ص 52.

³ نفسه ، ص 51.

⁴ العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 272.

⁵ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 668.

- المنتجات الزراعية: وتشمل مجموعة من المحاصيل الأساسية التي تعتبر ضرورية لتلبية احتياجات الغذاء اليومي للسكان، ومن أبرزها (القمح، الشعير، الفول، الحمص) كانت تحظى بأهمية كبيرة في النشاط الزراعي والتجاري للمنطقة، بحيث لعبت دورًا محوريًا في التبادل التجاري عبر القوافل والموانئ، مما ساهم في تعزيز مكانة المنطقة كحلقة وصل تجارية بين شمال إفريقيا ودول البحر المتوسط¹.
- المنتجات الحيوانية: كانت من أبرز السلع التي ساهمت في النشاط التجاري، حيث شملت الصوف والجلود²، وهذه الأخيرة وهي نوعان الجلود المصبوغة والجلود المصنوعة محليًا، وتلك التي عولجت بالملح فقط³.
- تميزت المنطقة بوفرة الأراضي الخصبة والمراعي الغنية، مما جعلها موطناً لأنواع عديدة من المواشي، وخاصة الأبقار التي كانت تزيد عن الكفاية فيصدر منها إلى الخارج⁴.
- الواردات: اعتمد سكان زواوة على استيراد مجموعة من السلع التي لم تكن تنتج محليًا، وذلك عبر القوافل التجارية أو من خلال السفن القادمة إلى الموانئ، ومن أبرزها:
- التوابل: اعتمدت المنطقة زواوة على استيراد التوابل من إفريقيا وآسيا، حيث لعبت القوافل الصحراوية والموانئ البحرية دورًا محوريًا في إيصال هذه السلع إلى المنطقة ومن أهم التوابل المستوردة مثل الفلفل الأسود والزنجبيل والقرفة والكرم⁵.
- المعادن والأسلحة: استوردت المنطقة معادن متنوعة مثل الحديد والنحاس والقصدير والرصاص التي كانت تستخدم في صناعة الأدوات الزراعية وكذلك في صناعة الحلي والأدوات المنزلية.

¹ العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 91.

² نفسه، ص 97.

³ هانوتو، المصدر السابق، ص 689.

⁴ العربي الزبيري، المرجع السابق ص 97.

⁵ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، التاريخ الإقتصادي للجزائر العثمانية، دار المعرفة، الجزائر، 1981م، ص 87.

أما الأسلحة فكانت من السلع المهمة التي سعت زواوة إلى استيرادها خاصة البنادق والسيوف والذخائر وكان هذا الإستيراد ضروريا لمواجهة التحديات الأمنية والدفاع عن المنطقة في ظل التوترات السياسية والمخاطر الخارجية¹.

● الأقمشة: كانت المنطقة زواوة تعتمد على استيراد الأقمشة لتلبية احتياجات سكانها المتزايدة، حيث تمثلت أهم الأنواع المستوردة في القطنيات والحرير، كانت القطنيات تجلب من مدن الجزائر كقسنطينة التي اشتهرت بجودة إنتاجها وسوقها التجاري النشط بينما كان الحرير يستورد من تونس، التي عرفت بصناعة الحرير الفاخر المستخدم في الملابس التقليدية والمناسبات الخاصة، بعد استيراد هذه الأقمشة كانت تعرض في الأسواق المحلية بالمنطقة حيث يعاد بيعها للتجار المحليين².

تميزت المنطقة زواوة خلال العهد العثماني بنشاط تجاري متواضع لكنه حيوي ساهم في دعم الإقتصاد المحلي وتلبية احتياجات السكان.

اعتمدت التجارة الداخلية على الأسواق المحلية التي انتشرت في القرى والمدن الصغيرة حيث كانت المنتجات الزراعية مثل الزيتون والتين والحبوب، والمنتجات تربية الحيوانات كالألبان والصوف تعرض للبيع أو التبادل، لعبت الأسواق دورا اجتماعيا واقتصاديا مهما، إذ كانت نقطة التقاء للسكان المحليين.

أما على مستوى التجارة الخارجية، فقد ساهم موقع زواوة الإستراتيجي بالقرب من المدن الساحلية في تسهيل عمليات التصدير والإستيراد، كما كانت المنتجات الزراعية وخاصة زيت الزيتون والصوف تصدر إلى المناطق المجاورة وحتى الأسواق المتوسطية عبر الموانئ العثمانية، في المقابل استورد سكان زواوة بضائع مثل القماش، التوابل، الأسلحة، التي لم تكن متوفرة محليا.

¹ هانوتو، المصدر السابق، 686.

² نفسه، ص 687.

ورغم نشاطها، واجهت التجارة في زواوة تحديات مثل الضرائب الباهظة التي فرضتها السلطات العثمانية، إضافة إلى صعوبة النقل عبر التضاريس الجبلية، ومع ذلك ساعدت التجارة في تعزيز الروابط الإقتصادية بين زواوة والمناطق الأخرى، مما ساهم في استقرار الإقتصاد المحلي نسبيًا.

الفصل الثاني:

الممارسات الإجتماعية في زواوة

المبحث الأول: الزواج والختان

أولاً: تقاليد الزواج في زواوة

ثانياً: طقوس الختان في المجتمع الزواوي

المبحث الثاني: دور المرأة القبائلية

أولاً: الحياة الزوجية

ثانياً: الحياة الريفية

يمثل المجتمع الزواوي خلال العهد العثماني نموذجًا مميزًا للمجتمعات التقليدية التي احتفظت بهويتها الثقافية والإجتماعية رغم التغيرات السياسية والإقتصادية المحيطة وضمن هذا السياق، تبرز بعض المظاهر الإجتماعية التي لعبت دورًا حاسمًا في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للمنطقة، وعلى رأسها أنماط الزواج، طقوس الختان، ودور المرأة القبائلية، وهذا ما سأقدمه في هذا الفصل الذي يهدف إلى إستكشاف هذه المظاهر الثلاثة.

المبحث الأول: الزواج والختان

أولاً: تقاليد الزواج في زواوة

شهد المجتمع الزواوي خلال الفترة العثمانية وجود العديد من المناسبات الاجتماعية والدينية التي ارتبطت بطقوس وممارسات احتفالية خاصة بها، من بين هذه المناسبات كانت مناسبات الزواج، التي تمثل الخطوة الأولى لتأسيس الأسرة، باعتبارها النواة الأساسية للمجتمع ككل، ونظرًا لأهمية الزواج في ثقافة الفرد الأمازيغي، فقد كان يحاط بمجموعة من الطقوس والعادات التي تتسجم مع تعاليم الشريعة الإسلامية في جانب كبير منها، وأصبحت بمرور الزمن تقليدًا جوهريًا في حفلات الزواج¹.

في المجتمعات التقليدية، تستند العلاقة الزوجية إلى قواعد تنظمها الأعراف والتقاليد، حيث يعتبر الزواج إجراء يتجاوز الأفراد ليشمل العائلة لذلك تسعى هذه العادات إلى تحقيق التوازن بين الأخلاق العامة و الإحترام المتبادل².

بحيث أن الزواج نعمة وآية من آيات الله، قال الله تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"³.

¹ زينب اخلف ، عادات وتقاليد الزواج في المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية ، مجلة رفوف ، جامعة أدرار، مجلد 11، العدد 2، 2023م، ص 678.

² عبد الكريم بوعمامة ، بنويعلى لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 38.

³ القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية 21.

في منطقة القبائل، يتم زواج الصبيان في سن مبكرة حيث تتزوج الفتيات غالبًا وهن في التاسعة أو العاشرة من العمر، بينما يتراوح سن الزواج للذكور بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة¹.

قيل أن الرجال هم الذين يتحكمون في زواج أولادهم، إذ يقومون بالبحث عن المرأة عن طريق الأولياء، فيسأل ولي الوالد أب البنت "هل لديك بنت للزواج؟ إذا أجابه بنعم فيقول له أعطيتها لولدك"، أما إذا قال ليس عندي، فيسأله مجددًا "هل تعرف أحدهم لديه بنت للزواج؟"، ويتم هذا في الأسواق الأسبوعية أو الساحة العامة للقرية، وعادة ما يتم الزواج من نفس العائلة أو من الأقارب، نادرًا ما يتم خارجها².

في معظم الحالات نجد أنه يتم الزواج من خلال الخطبة بين النساء³، وكذلك في بعض الأحيان يختار الشاب بنفسه الفتاة التي يرغب في الزواج منها، فيقوم بإبلاغ صديقه أو أحد من أقاربه، فيتوجه الصديق إلى والد الفتاة ليبلغه برغبة الشاب وهنا تقف على رغبة الوالد بإعطاء البنت أم لا⁴.

وإذا توفر الرضا المتبادل بين العائلتين، يتقدم الزوج إلى ولي الفتاة للإتمام الخطبة وفق التقاليد المتعارف عليها⁵، وهذه الأخيرة أي الخطبة تعتبر المقدمة والمدخل إلى عقد الزواج، وهي في حد ذاتها عقد ابتدائي لإعلان القبول بالزواج بين الطرفين الرجل والمرأة وكانت تبدأ من عملية التشاور إلى مرحلة القبول والإرتباط⁶.

¹ كيسة بولجنت ، المرأة القبائلية في العهد العثماني (عادات ومعتقدات)، مجلة أفكاروأفاق ، جامعة الجزائر ، مجلد 9، العدد 3، 2021م ، ص 146.

² فؤاد بوزيد ، العادات والتقاليد الشعبية بقرى حوض الصومام -بجاية . مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مجلد 2، العدد9، جامعة قلمة ، 2018، ص 683.

³ عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 38.

⁴ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 146.

⁵ عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 38.

⁶ زينب اخلف ، المرجع السابق ، ص 679.

يرافق العريس في الخطبة أفراد من عائلة وأقربائه¹ ومجموعة من المرابطين والمشايخ متجهين² إلى بيت العروس ومعه المهر وهو مبلغ من المال ويدعى في المنطقة "الشرط" والبعض يسميه "لملاك" أو "الدفع"، وهو ليس مبلغًا محددًا أو مقدارًا ثابتًا، بل يختلف حسب الظروف والعادات، يتباين الناس بين الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق³.

يستقبل والد الفتاة الضيوف بتقديم الكسكس كوجبة تقليدية وييدي الضيوف امتنانهم بشكل متواضع، ثم يبدأ التفاوض حول المهر حيث يسعى المرابطون إلى اقناع والد الفتاة بتخفيض المهر لتسهيل الأمر على عائلة الشاب، إذ يعتبر عدم القدرة على دفع المهر مصدرًا لسخرية في المجتمع الزواوي⁴.

ومن العرف السائد أن الزواج يكون مباركًا عندما يكون المهر قليلاً، بحيث نجد أن الشرع حث على تخفيف المهر وتسييره بحيث نجد الأحاديث النبوية نصت على ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "خير النكاح أيسره"⁵ وكذلك قال "خير الصداق أيسره"⁶ وأيضاً قال صلى الله عليه وسلم لرجل أراد الزواج "التمس ولو خاتماً من حديد"⁷.

بعد الموافقة على المهر يطلق مرافقو والد الشاب طلقات من البارود في الفناء المنزل⁸. حينها يقرأ الشيخ الفاتحة والدعاء الطيب للزوجين وتكون هذه الفاتحة سرية.

¹ عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 38.

² كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 146.

³ عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 39.

⁴ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 146.

⁵ الحديث النبوي ، رواه ابن حباب ، صححه الألباني في صحيح الجامع (3300).

⁶ نفسه ، رواه الحاكم والهيقي ، صححه الألباني في صحيح الجامع (3279).

⁷ نفسه ، متفق عليه.

⁸ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 146.

بينما تطلق النساء العنان للزغاريد والأهازيج¹، وهذه الفاتحة تلزم الطرفين إلزاماً لا فكاك منه بحيث أنه إذا حاول أحدها نقض الخطبة، أجبر على التقيد به ودفع غرامة فضلاً عن ذلك².

وبعد أيام يتوجه والد العريس إلى السوق لشراء بعض المستلزمات المتكونة من الحناء والكتان ومحرمة حرامية، بالإضافة إلى كميات من القمح والسن والعسل.

كما يشتري ثوراً يذبحه في السوق، ثم يبيع جلده ويحمل ما تبقى إلى دار الفتاة³ حيث يبيت هناك ليلة قبل أن يعود إلى داره. وقد أشار دوماس إلى أن والد الفتى يشتري أيضاً الرياضان (سيف تركي محذب) وبندقية وزوجين من المسدسات، ثم يأخذها جميعاً إلى منزل الفتاة.

بعد شهر من زيارته الأولى، يعيد والد الفتى نفس الخطوة بحيث يتجه إلى السوق ويشتري نفس المشتريات التي ذكرها سابقاً، ثم يتبعها بزيارة أخرى لبيت الفتاة حيث يبيت مع مرافقيه ليلة أخرى، وبعد أيام قليلة، يعود إلى السوق لشراء المزيد من الحناء والكتان وبعض الحلي الفضية ونصف نوق، بالإضافة إلى دقيق الشعير والتمر، يرافقه في هذه الرحلة الأقارب والمرابطون والمشايخ، ويتوجه الجميع نحو بيت الفتاة بينما يتبقى بعضهم في البيت لتحضير الوليمة التي تتكون من الكسكس واللحم.

يضم الموكب المرافق لهذه المناسبة ستة رجال مسلحين يحملون البنادق، طلقات البارود بين الحين والآخر طوال الطريق، تتزامن هذه الطلقات مع زغاريد النساء ودق الطبول التي تعلن عن قدوم الموكب وعند وصولهم إلى قرية العروس، يستقبلهم أهلها مصطفىين في صف واحد، حيث يطلق الرجال طلقة بارود واحدة بينما تطلق النساء الزغاريد ابتهاجاً

¹ عبد الكريم بوعمامة، المرجع السابق، ص 146.

² هانوتو. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج 2، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 217.

³ كيسة بولجنت، المرجع السابق، ص 146.

بالمناسبة¹، بعد ذلك يتوجه الضيوف إلى مكان الإستراحة حيث يقدم لهم طعام يتكون من اللحم والعسل والسمن، بعد الإنتهاء من الأكل يجلس الأب في وسط الحضور على الحصيرة ويحيط به المرابطون و المشايخ وجميع الحاضرين، بحيث تتم مناقشة المهر بين العريس ووالد العروس، حيث يطلب من الأخير إعادة جزء من المهر إذا كان والد العروس كريماً، فإنه يوافق على ذلك، أما إذا رفض يقوم المرابطون بالدعاء عليه، بعد ذلك يلقي أحد المرابطين خطبة النكاح ويسأل العريس إذا كان قد أعطى المهر فيجيب بنعم وكذلك يسأل أب العروس إذا وافق وأعطى ابنته فيجيب بنعم، لينتهي الأمر بقراءة الفاتحة علنياً، وتتم الخطوبة والعقد الشرعي للزوجين².

وقبل الإنصراف يتم الاتفاق على يوم الإحتفال بالزواج³ ومن عاداتهم أنه يفضل اختيار يوم الخميس لإقامة حفلات الزفاف، لأنه اليوم الذي يليه يوم عطلة عند المسلمين (يوم الجمعة) هذا التوقيت يتيح للعروس والنساء بشكل عام الراحة دون الحاجة إلى الخروج لأعمالهن اليومية، مما يضمن عدم تعطيل أي منهن عن مسؤولياتها.

علاوة على ذلك، إذا تم اختيار يوم غير مناسب مثل (أيام العمل العادية) نجد أن العروس تضطر لبدء العمل من يومها الأول في بيت زوجها عكس إذا تم اختيار يوم الخميس لن تقوم بأي شيء⁴.

يقوم أهل العريس ببعث كئيبات السن إلى أهل العروس ليضعن عليها الحللي فضية، وبعد أسبوع يتم إعلان الزواج⁵، وفي الليلة السابقة على الزفاف، وبعد تناول العشاء، وهو المقدمة المصاحبة لكل المراسيم والذي يقدم لأهل العريس من أقارب وأصدقاء، ثم يتم صبغ

¹ كيسة بولجنت ، العادات والتقاليد في بلاد زواوة ، المرجع السابق ، ص 168.

² نفسه ، ص 169.

³ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 218.

⁴ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 151.

⁵ فؤاد بوزيد ، المرجع السابق ، ص 19.

اليد اليمنى للزوج بالحناء، فيما يقوم المدعوون بإلقاء خصاله و خصال عائلته، وفي نفس تلك الليلة يقدم العريس بعض من البيض واللحم والحلويات لمن شاركوه في الإحتفال، ويكون ثلث المؤونة مخصص للمغنين والثلثين الباقيين لشباب القرية العزاب¹.

إلى جانب ذلك نجد أن أهل العروس يقومون بتحضير جهاز العروس بكل ما يلزمها في حياتها الجديدة من ملابس وحلي وأفرشة وذلك من خلال تخصيص جزء من المهر، بعد الإنتهاء من كافة التحضيرات الأولية الخاصة بالمستلزمات المعيشية للعروس تنتقل الأسرة للإهتمام بالعروس من الناحية الجسدية والجمالية، فبمجرد إقتراب موعد الزفاف وخاصة في آخر خمسة أو ستة أيام قبل الزفاف، يكون الاهتمام منصبا على العروس لتكون في أبهى حلة يوم عرسها².

ويصل اليوم الموعود والمنتظر للزوجين في الأخير، يقصد والد الزوج بيت العروس بملابس مهيئة للمناسبات، وتكون النساء أيضا مرتديات أبهى ملابسهن، ويتجهون إلى بيت العروس، إذ يدخل الموكب على جلبة طلقات النيران وأنغام المزمار وإيقاع الطبل، ويجد فيه مرابطيا وتقوم عائلة المرأة أو سكان القرية بإيواء موكب الزوج والغرباء الذي جاؤوا للمشاركة في حفل الزفاف³، وبعد تناول الطعام وانتهاء الضيافة، يتم إلباس العروس ويلقى إلى جيدها يطغان الذي يعتقد أنه سيحميها من كل الشرور⁴.

ثم تخرج العروس وتحمل على ظهر دابة المخصصة لها والتي قد زينت، وتكون العروس ملفوفة مثل كوز الذرة مدثة بـ "الحايك" من الحرير الأبيض يزينون رأسها بالمناديل الصفراء والحمراء والزرقاء، ويوضع محمل العروس في وسط الموكب مع الزغاريد وطلقات البارود وفي هذه الأثناء يتقدم أخ العروس أو أحد أقاربها فيمسك زمام المطية ولا يتركها

¹ هانوتو، المصدر السابق، ص 218.

² زينب اخلف، المرجع السابق، ص 691-692.

³ هانوتو، المصدر السابق، ص 219-221.

⁴ نفسه، ص 221.

تنطلق حتى تعطى له هدية نقدية، ثم يسلم زمام المطية لأحدهم وينطلق الموكب الذي يتكون من الرجال والنساء ركبانا ومشاة، ومايزين هذا الموكب هو زغاريد النساء وطلقات البارود، وعند وصول الموكب ونزول العروس ودخولها إلى البيت تستقبلها أم العريس فتعطيها بيضتين للعروس، بحيث تقوم هذه الأخيرة بفقس البيضة على الدابة التي قامت بركوبها، ثم ينثرون فوق رأس العروس التمر والتين المجفف وقطعا من السكر والحلوى والجوز واللوز حتى تكون حياتها مع أهل العريس حلوة وهادئة ونجد الأطفال يتراكمون لالتقاط هذه الأشياء من الأرض، ثم تدخل العروس تحت وقع الزغاريد والأهاريج، وحسب عادتهم فإنها تأتي أم العريس وتسكب الماء بين رجلين عروسها وهي تتخطى عتبة الدار¹. وتجلس مقابلة للقبلة، وللجدار المخصص لنسج الزرابي بحيث تقوم بتسمير المسمار عليه قبل جلوسها وهذا ما يرمز لبقائها في بيتها حتى مماتها أي بمعنى عدم حصول الطلاق².

وعند وصول الليل، يقوم عدد من الأصدقاء الزوج إلى غرفة الزفاف، وقبل أن يجتاز العتبة، يقوم بصرفهم عن طريق تقديمه لهم الحلويات والبيض، وبعد أن ينفرد بزوجته، يضربها ضربات ثلاثة خفيفة على كتفيها بظهر يكون بسيف أو سكين، إعتقادهم أن بهذه فعلة يطرد عنها العين الشريرة قبل أن يقودها إلى فراشها، إذا كانت العروس أرملة أو مطلقة ينتهي الزفاف، وينصرف جميع الحاضرين، أما إذا كانت الزوجة عذراء تنتظر النساء لحظة خروج الرجل من الغرفة ليعلن وهو مفتخر من خلال طلقات النار، نصره وعلى هذه الإشارة تنطلق زغاريد نساء وتمضي الليلة بالغناء والرقص تكريماً للزوج وافتخار بالزوجة.

وفي اليوم التالي، يقوم الأقارب والجيران بالتهنئة الزوجة الجديدة وتقديم هدايا فضية³. أما من جانب العريس فعند خروجه من غرفته صباحاً فيكون حامل كمية من البيض

¹ عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 42.

² فؤاد بوزيد ، المرجع السابق ، ص 18-19.

³ هانوتو ، المصدر السابق ، ص 223.

المسلوق ليوزعه على الأصدقاء والأحباب، وفي اليوم الثالث بعد زفاف، يأتي بالعروس فيجلسوها على منصة في صدر البيت، وتقوم بعض النساء بمشط شعرها وتسريحه، وتصفيفه وهن ينشدن بالتناوب أغاني المدح للعروس والعريس ومرافقة بالزغاريد وتدعى هذه الأهازيج بالأمازيغية "إزلان"، وعند الإنتهاء من هذا تتقدم نساء العائلة والمدعوات ليضعن بعض النقود في منديل مبسوط في حجر العروس وهكذا يتم العرس ويعم الفرح الجميع¹.

يمكنني الإشارة إلى الزواج في المجتمع الزواوي يتحلى بالصرامة، فإن العرف القبائلي لا يقبل أي علاقة جنسية خارج نطاق الزواج أو بالأحرى خيانة الزوجة، غير أن هذه الصرامة في مجال الأخلاق العامة ليس للأسف مؤسسة على مبدأ احترام المرأة، فمكانتها في المجتمع القبائلي باهتة².

يبين لنا هانوتو في حقوق وواجبات الزوجين وضح أن حق الزوج على المرأة هو الطاعة والوفاء وواجبها الإشراف على تدبير البيت في المقابل نجد حق المرأة على زوجها أي واجباته هو توفير الحماية والأمان لها وكذلك توفير المأكل والملبس، ويحق للزوج معاقبتها كلما ارتكبت خطأ³.

ختامًا، كان الزواج في المجتمع القبائلي خلال العهد العثماني مؤسسة إجتماعية متجذرة في الأعراف والتقاليد، حيث لعب دورًا محوريًا في تعزيز الروابط القبلية واستمرار الهوية الثقافية، تميزت هذه المؤسسة بطقوس فريدة، شملت الإحتفالات الجماعية، الأغاني التقليدية، ارتداء الأزياء القبلية وتقديم الولائم التي عكست التضامن الاجتماعي، رغم التحديات مثل الأزمات الإقتصادية أو الغزوات نجح المجتمع في الحفاظ على التوازن بين

¹ عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 42-43.

² هانوتو ، المصدر السابق ، ص 150.

³ نفسه ، ص ص 168-169.

التعاليم الدينية والتقاليد المحلية، مما جعل الزواج وسيلة لتأكيد الوحدة القبلية وضمان استمرارية القيم الثقافية عبر الأجيال.

ثانيًا: طقوس الختان في المجتمع الزواوي

يعد الختان من الشعائر الإسلامية التي حث عليها الشرع، حيث كان المسلمون يحرصون على إجراؤه للأطفال عند بلوغهم سنًا معينة، مما يجعل هذه المناسبة حدثًا مهمًا في حياة الفرد المسلم.¹

تمارس المجتمعات البربرية تقليدًا خاصًا بختان الذكور، تميزت حفلات الختان في منطقة القبائل بطابع احتفالي مميز²، حيث تجمع بين البهجة والمشاركة الجماعية وتختلف تفاصيل الإحتفال من عائلة لأخرى حسب الإمكانيات المادية، لكنها تظل محافظة على الجوهر التقليدي الذي يميز ثقافة الثروة العريقة.³

تمثل مراسم الختان لدى قبائل زواوة حدثًا اجتماعيًا مهما يجسد التراث الثقافي الأصيل، فعندما يبلغ الطفل سن الخامسة أو السادسة، تبدأ التحضيرات⁴ لهذا الغرض وقد اعتاد سكان القرى تنظيم هذه المناسبات خلال الفترة القمرية الممتدة بين العاشر والعشرين من الشهر القمري، التي تقام عادة بين منتصف أغسطس ومنتصف سبتمبر لما لها من أهمية فلاحية تزامناً مع موسم الحصاد واعتدال الطقس بحيث يوفر بيئة ملائمة للأطفال المختونين.⁵

¹ نذير رواحي ، الطقوس والممارسات الدينية في فترة الخلافة العثمانية ، مجلة أنثروبولوجية الأديان ، مجلد 18، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، 2022م ، ص 471.

² هانوتو ، ج 2 ، المصدر السابق ، ص 215.

³ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 165.

⁴ نفسه ، ص 166.

⁵ محمد أرزقي فراد ، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية ، منشورات وزارة الشؤون والأوقاف الجزائرية قسنطينة عاصمة الثقافة العربية ، 2015م ، ص 164.

خلال هذه الفترة، تشغل الفتيات القبائليات بتحضير أنواع متنوعة من الحلويات التقليدية، كما تتولى والددة الطفل بمساعدة نساء العائلة إعداد الكسكس الذي يقدم في يوم الحفل. وفي اليوم الأول يقام طقس التزيين حيث يدهن المرابطون يد الطفل اليمنى بالحناء بينما تقوم النساء بتجهيز الملابس التقليدية الخاصة بالمناسبة.¹

كانت الأعراف المحلية تقتضي أن ترسل صبيات إلى جلب التراب في أواني فخارية صغيرة، سواء من بئر قريب أو من نقطة تماس بين حقلين، مع الحرص أن تكون هذه التربة ذات لون أسود لما له من رمزية محلية، ويتم وضع هذا التراب في صحن كبيرة تحيط بها الفتيات وهن يغنين ويرددن أهازيج شعبية، تعبيراً عن الفرح والبهجة.²

بعد الإنتهاء من هذه العملية تتولى الفتيات بيع التراب المعبأ في الأواني للرجال الراغبين في اقتناؤه مقابل مبالغ رمزية، وكان العريس في الحفل عادة يشتري بعضاً منه ويضعه مع الهدايا المقدمة إلى أسرته، والتي كانت تتراوح قيمتها بين نقود أو هدايا عينية حسب مقدرة العريس ومكانته الإجتماعية.³

كان يوم الختان مناسبة مميزة تجمع بين الطقوس الدينية والاحتفالات الشعبية، في مزيج يجسد روح التقاليد والموروث الثقافي. يبدأ اليوم منذ ساعات الصباح الباكر، حيث تتجول أفراد العائلة في أرجاء القرية لجمع التبرعات. هذه العادة لم تكن مجرد وسيلة دعم مالي، بل كانت تعبيراً عن التكاتف الاجتماعي وروح التضامن بين أهالي القرية، حيث ينظر إلى هذه التبرعات على أنها مشاركة جماعية في هذا الحدث السعيد. تصاحب هذا التجوال أصوات الطبول المدوية وطلقات البنادق الإحتفالية، التي تضفي جواً من البهجة

¹ رشيد محمودي ، عادات وطقوس حفلات الختان بقرى منطقة القبائل ، في 22 جويلية 2024 ، تم الإطلاع عليه يوم 30 أفريل 2025

على ساعة 17:19 مساءً. <https://baraka.news.dz.com>

² فراد ، المرجع السابق ، ص 164.

³ نفسه ، ص 164.

وتعلن عن المناسبة في كل الأرجاء، مما يجعل القرية بأكملها تشارك في الاحتفال وكأنها عائلة واحدة¹.

في الجانب الآخر من الإستعدادات، كانت النساء يبدأن التحضيرات مبكرًا، وهن يرتدين أجمل الملابس التقليدية التي تعكس التراث المحلي الغني. بحيث تتزين النساء بالحلي والمجوهرات، ويملأن الأجواء بزغاريدهن المميزة التي تعبر عن الفرح والفخر بهذا اليوم. تتحول الزغاريد إلى رمز احتفالي يعكس مشاعر المجتمع بأسره اتجاه الطفل وعائلته، فتتعالى الأصوات مبشرة بقدوم لحظة مميزة في حياة المجتمع.²

مع اقتراب لحظة الإحتفال الرئيسية، يعلق على عنق الطفل "التميمة" وهي قطعة شاش صغيرة تحتوي على خليط من الأعشاب العطرية والمواد التقليدية.

هذه التيممة كانت تعتبر رمزًا للحماية والبركة، وتحمل في طياتها بعدًا روحياً يربط الماضي بالحاضر، تجسد التيممة إيمان المجتمع بأهمية الحماية الروحية في مواجهة المستقبل، مما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من هذا الطقس العريق.³

إطلاق البارود كان عنصراً رئيسياً في هذا الإحتفال، حيث لم يكن مجرد مظهر احتفالي، بل طقساً ذا رمزية عميقة. اعتبر الأهالي دوي الأعيرة النارية تعبيراً عن الفخر والانتصار، ووسيلة للتفاخر بين القبائل والمجموعات، كان إطلاق البارود يعلن عن المناسبة ويدعو الجميع للمشاركة في الفرح، في حين كان هذا التقليد يؤكد على قوة التقاليد الاجتماعية وقدرتها على تعزيز الهوية الجماعية.⁴

¹ هانوتو، المصدر السابق، ص 215.

² Jules Maistre، *mours et coutumes kayles montpellier*، Imprimerie de la manufacture de la charite، 1905، p40.

³ Ibid، p41.

⁴ فراد، المرجع السابق، ص 164.

مع تحضير الطفل للاحتفال، يلبس ملابس تقليدية مزخرفة بخيوط ذهبية أو فضية، تعكس جمال وحرفية التراث المحلي. القندورة البيضاء المطرزة كانت العنصر الأبرز في هذه الملابس، حيث ترمز إلى النقاء والبدايات الجديدة¹.

بعد عملية تلبيس الطفل يحمل على ظهر حمار مزين بزخارف ملونة ومبهجة خصيصاً له . ويبدأ موكب احتفالي مهيب يرافقه فرقة موسيقية تعزف الطبول والناي، بينما تردد النساء الأهازيج الشعبية والزغاريد. يتحول الموكب إلى عرض فرح متحرك يجوب أرجاء القرية، ليتحول يوم الختان إلى ذكرى لا تنسى في حياة الطفل وأسرته.²(أنظر الملحق 5).

عند لحظة الختان، يتم تسليم الطفل إلى الشخص المكلف بالعملية، الذي غالباً ما يكون موسيقياً أو صاحب خبرة في خلق أجواء مرحة ومريحة. كان هذا الشخص يلعب دوراً محورياً في تخفيف التوتر الطفل من خلال المزاح وإلقاء العملات المعدنية داخل الأداة المستخدمة. هذا التصرف لم يكن مجرد محاولة للترفيه، بل كان يعكس حس المجتمع بالإحتواء والفرح حتى في اللحظات الحرجة. بينما تجرى اللحظة إلى حدث احتفالي يتجاوز حدود الطقس الديني.³

ومن الطقوس الرمزية المميزة في هذا اليوم، رمي أعواد القصب المستخدمة في النسيج التقليدي في الهواء، وتنظم مسابقة رمي الأهداف حيث يفوز المشاركون فيها بهدايا تتراوح بين الخرفان والدجاج أو مبالغ مالية.

تتحول طقوس تقديم الهدايا إلى منافسة كرم بين وجهاء القبيلة حيث يتسابقون في العطاء أمام الحضور وكلما زادت قيمة الهدية ارتفعت مكانة المانح بين مجتمعه. كان لهذا

¹ رشيد محمودي ، المرجع السابق.

² كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 166.

³ Jules . op cit . p 42.

التقليد دلالة رمزية ترتبط بالوفرة والحياة، مما يعكس عمق ارتباط الطقوس اليومية بالحرف المحلية والتقاليد الثقافية.

بهذه الرمزية يظهر المجتمع قدرته على دمج ماضيه الغني مع طقوس الحاضر، صورة متكاملة تعبر عن هويته.¹

بعد انتهاء مراسم الختان، يعود الجميع إلى المنزل حيث تبدأ لحظة استقبال والدة الطفل المختن، وهي من أبرز اللحظات الرمزية في هذا اليوم المميز. تتحضر الأم بعناية فائقة، مرتدية أجمل وأفخم الحلل التقليدية المزينة بحلي فضية تراشية تعكس بوضوح الهوية القبائلية عامة والزواوية خصوصًا. تعبر هذه الزينة عن الفخر والانتماء العميق للتقاليد، وتشكل صورة مبهجة للأمم والاحتفاء. عند وصول الطفل إلى المنزل، ترتفع الزغاريد من أفواه النسوة اللاتي يجتمعن للترحيب بـ "الملك الأبيض"، وهو اللقب الذي يطلق على الطفل المختن في هذا اليوم. تتجمع الأسرة والأصدقاء حول الطفل وأمه في مشهد مليء بالدفء والمحبة، يقدمون التهاني والدعوات بحياة مليئة بالسعادة والنجاح، في أجواء تتسم بالحفاوة والمودة.²

مع حلول المساء، تنتقل الاحتفالات إلى مرحلة أخرى تتميز بالعطاء والكرم، حيث يقام عشاء فاخر تكريمًا للضيوف الذين شاركوا في هذا اليوم المميز. يعد طبق الكسكس التقليدي، المزين بقطع اللحم الشهي، العنصر الأساسي على المائدة، ويقدم في أجواء احتفالية يقودها الموسيقيون الذين يرتدون عباةاتهم التقليدية المعروفة بـ "الطوسة". تعزف الفرق الموسيقية ألحانها الشعبية التي تضيف لمسة مميزة على أجواء العشاء، بينما يتولى أحد الحاضرين مسؤولية توزيع الطعام بسخاء يجسد روح الكرم التي يتميز بها أهل زواوة.³

¹ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 166.

² رشيد محمودي ، المرجع السابق.

³ Jules ، op cit ، p 42.

يتحول العشاء إلى لقاء اجتماعي مميز، حيث يتبادل الحضور الأحاديث والإبتسامات في أجواء مليئة بالفرح والبهجة. يعد هذا العشاء ختاماً رائعاً ليوم حافل بالطقوس والتقاليد، حيث يجتمع الجميع على مائدة واحدة ليؤكدوا مرة أخرى على قوة الروابط الاجتماعية وقيمة التقاليد الثقافية التي تجعل من يوم الختان حدثاً لا ينسى في ذاكرة الأسرة والمجتمع بأسره.¹

نجد أنهم في معالجة الجرح فيستخدم خليط من زيت السلحفاة المعروف محلياً بـ "زيت الإفرون" مع روث الماعز المجفف والمطحون. وفي حال عدم توفر زيت السلحفاة يتم استبداله بمزيج آخر يعد من تراب مأخوذ من حدود الحقول المجاورة، يضاف إليه زيت الزيتون والعسل. يوضع هذا الخليط على الجرح، وتربط تحته ثمرة تين أو رمان، تعبيراً عن أمنية بأن ينمو الطفل بقوة وصحة تماماً كما تنمو تلك الأشجار المثمرة.

من بين الطقوس المرافقة لنمو الطفل عادة رمزية تعرف "بوجبة البصل" التي تتميز بأهميتها التقليدية، تحضر سبع قطع من البصل في السوق خصيصاً لهذه المناسبة، يجلس الطفل على حجر جده أو أحد أعماله، الذي يناديه بمزاح: "ضع قدمك هنا، أيها الكلب"، يمد الجد بمزاح: "خذ، أيها الكلب، أيها الحمار". يكرر هذا الطقس مع الست قطع الأخرى من البصل، التي يتناولها الطفل واحدة تلو الأخرى، يعتقد أن هذا الطقس يحمي الطفل من تضخم الغدد، ويعتبر تقليداً متوازناً يعكس الحكمة الشعبية والرمزية الاجتماعية المتأصلة.²

تحمل هذه الإحتفالات أبعاداً اجتماعية غنية ودلالات عميقة تتجاوز الجانب الديني البحت، حيث تمثل انعكاساً واضحاً لروح التماسك والتضامن في المجتمع.

¹ Ibid , p41.

² Ibid , p42.

أولاً، تعزز هذه المناسبات قيم التكافل الاجتماعي، إذ يشارك جميع أفراد المجتمع في تحمل تكاليف الحفل، سواء من خلال التبرعات أو المساعدة في التنظيم، مما يجعل من الاحتفال نشاطاً جماعياً يعكس وحدة المجتمع وروحه التضامنية.

ثانياً، تعد الاحتفالات فرصة مثالية لإظهار الكرم والمكانة الاجتماعية للأسر المضيفة. من خلال السخاء في تقديم الطعام والضيافة، تبرز العائلات قيم الكرم التي تعتبر جزءاً أصيلاً من الهوية الثقافية. يصبح الكرم هنا ليس مجرد عادة، بل وسيلة للتعبير عن الاحترام والتقدير تجاه الضيوف، مما يعزز العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.

ثالثاً، تلعب هذه الاحتفالات دوراً كبيراً في الحفاظ على التراث الموسيقي والغنائي التقليدي، إذ ترافق الأجواء فرق موسيقية وأهازيج شعبية تنقل الأغاني والألحان التراثية من جيل إلى آخر، مما يضمن بقاء هذا الموروث الثقافي حياً في ذاكرة الأجيال القادمة. تصبح الموسيقى والغناء جزءاً لا يتجزأ من هوية المجتمع، حيث تعكس قيمة وتاريخه بطريقة احتفالية ومبهجة.

وأخيراً، تعزز هذه الاحتفالات الروابط الأسرية والعشائرية، إذ تجمع الأقارب والأصدقاء في جو من المحبة والتواصل يصبح الاحتفال فرصة لتوثيق العلاقات وتقوية الصلات بين أفراد الأسرة والمجتمع، مما يخلق شعوراً بالانتماء والدفء الذي يعزز من استقرار المجتمع. بهذه الطريقة، تتحول هذه الطقوس إلى رمز يجسد بهذه الطريقة، تتحول هذه الطقوس إلى رمز يجسد الوحدة والقوة الاجتماعية، ويدمج بين الماضي والحاضر في إطار من الفرح والاحتفال.¹

¹ كيسة بولجنت ، المرجع السابق ، ص 165-166.

المبحث الثاني: دور المرأة القبائلية

أولاً: الحياة الزوجية

تعد المرأة في المجتمعات التقليدية مكوناً أساسياً داخل بنية الأسرة، ويبدأ تحديد مسارها الاجتماعي منذ ولادتها، حيث تمنح معاني ثقافية واجتماعية ترتبط بالخضوع والطاعة وخدمة الغير، وتختلف هذه المعاني حسب الثقافة المحلية.

في المجتمع الزواوي، كانت الفتاة تعتبر مسؤولة عن الأعمال المنزلية في سن مبكرة، وتربى على أساس أن مهمتها مستقبلاً ستكون تكوين أسرة، تربية الأطفال، إرضاء الزوج، والامتثال لأوامر العائلة. بهذا المعنى، فإن دور المرأة في الحياة الزوجية لا يبنى بعد الزواج فقط، بل يبدأ منذ السنوات الأولى من عمرها، وتتشكل شخصيتها وفق ما تمليه الأعراف الاجتماعية والأدوار المتوقعة منها.¹

إن الفتاة في الثقافة القبلية زواوية كانت منذ ولادتها تعد مشروع أم وربة منزل، وكانت تخضع لتنشئة صارمة تميزها عن الذكر في كل الجوانب، بدءاً من اللباس، إلى طريقة الجلوس، مروراً بطريقة الحديث، إلى حد أن الصمت كان يعد ميزة للفتاة الجيدة، كما عبرت عن ذلك عبارة "كوني جميلة، صامته وطفولية"، وهوما يظهر أن الفتاة لم تكن تربى على الاستقلال أو القوة بقدر ما كانت تعد لتكون خاضعة ومنضبطة في إطار الحياة الزوجية المستقبلية.²

ويعد مفهوم الطاعة محورياً أساسياً في هذه التنشئة، حيث تربى الفتاة على الخضوع لأوامر الأب ثم الأخ، ثم الزوج لاحقاً، في سلسلة هرمية من الطاعة تمثل نظام السيطرة الذكوري داخل الأسرة التقليدية، في هذا السياق، تندمج الفتاة داخل نسق من القيم التي

¹ حمداني مالية ، المرأة القبائلية في ظل التغيرات الاجتماعية الكبرى (دراسة نموذجية في مدينة تيزي وزو)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، جامعة الجزائر ، مجلد 11 ، العدد 2، 2023م، ص1213.

² نفسه ، ص1212.

تحدد تصرفاتها وطريقة تفاعلها مع العالم الخارجي، مما يجعلها في موقع هش اجتماعيًا واقتصاديًا، وتعتمد على الرجل لضمان حمايتها أو مكانتها داخل العائلة.¹

كما أن تربية الفتاة كانت تتجه نحو إعدادها النفسي والجسدي للزواج، حيث ينظر إلى المرأة على أنها مسؤولة عن إنجاح الحياة الزوجية، وإنجاب الأطفال، وتحقيق استقرار الأسرة. وتحمل المرأة في بعض السياقات عبء الحفاظ على شرف العائلة من خلال جسدها وسلوكها، ما يجعلها تخضع إلى رقابة مستمرة منذ الطفولة حتى الزواج، وهي نظرة تجعل منها كائنًا تابعًا ثقافيًا، لا يتمتع بالحرية الذاتية، بل ينتظر منه الامتثال للمنظومة التقليدية التي ترسم حياته.²

في هذا السياق، تبدأ الفتاة يومها بمسؤوليات منزلية شاقة مثل جلب الماء من النبع، طحن القمح، طهي الطعام، تنظيف المنزل، والعناية بالأطفال وتعتبر هذه المهام اليومية كيف تتدرب الفتاة على أداء الأدوار الزوجية المستقبلية قبل أن تبلغ سن الزواج.³

كما أن دخول المرأة إلى بيت الزوج لا يمثل بداية أدوارها، بل هو انتقال إلى طور آخر من الأعباء التي اعتادت عليها سابقًا. فهي مطالبة بأن تقوم بكل أدوار الخدمة، العناية بالأبناء، إرضاء الزوج، المحافظة على شرف البيت، والتضحية. هذا ما يجعلها في بعض الأحيان تؤدي أدوارًا متعددة دون الاعتراف بها أو اعتبارها منجزًا فرديًا، بل يتم التعامل معها كمفروغ منه.⁴

وفي هذا السياق، لا بد من التأكيد أن الفتاة تربي وفق مخطط قيمي ونمطي، يرسم لها أفقها في الحياة انطلاقًا من معيار النوع الاجتماعي. فهي تتعلم من خلال الملاحظة

¹ حسينة ميلودي، ميراث المرأة القبائلية بين خضوعها للأعراف والتقاليد المجتمع والحاجة المادية، مجلة المعيار نصف سنوية متعددة التخصصات، جامعة تسيمسيلت، مجلد 15، العدد 1، 2024م، ص 1526.

² محرز مرابط، المرأة القبائلية سيده بيت وعمود مجتمع، تم الإطلاع عليه يوم 2 ماي 2025 على ساعة 13:09 مساءً، تاريخ النشر 11 يناير 2018، <https://www.maghrebvoices.com>.

³ حسينة ميلودي، المرجع السابق، ص 1526.

⁴ محرز مرباتي، المرجع السابق.

والتقليد والاحتكاك الاجتماعي أن لها دوراً محدداً، وهو أن تكون "أنثى" كما تريدها العائلة، تابعة، خاضعة، متواضعة وملتزمة، وتهياً منذ الطفولة لتكون صالحة لأن تكون زوجة جيدة.¹

وتوجد مسألة الطلاق التي تعد من أبرز الإشكالات الاجتماعية في المجتمع القبائلي، نظراً لتأثيره العميق على التماسك الأسري والوضعية الاعتبارية للمرأة. وعلى الرغم من أن الطلاق كحق شرعي وارد في الدين الإسلامي، إلا أن تقاليد المجتمع القبائلي تضيي عليه طابعاً سلبياً، وتحاط المرأة المطلقة بنظرة دونية، وكأنها مسؤولة وحدها عن فشل العلاقة الزوجية.

وتجدر الإشارة إلى أن تعامل المجتمع القبائلي مع مسألة الطلاق يظهر بوضوح كيف أن النظام الثقافي المحلي يكرس التفاوت بين الجنسين. ويعيد إنتاج أدوار تقليدية تكبل المرأة وتقلص من حريتها في اتخاذ القرار، حتى في القضايا المصيرية.²

ثانياً: الحياة الريفية

تعد الحياة الريفية في منطقة القبائل من الفضاءات الاجتماعية التي ظلت محافظة على كثير من خصوصياتها التقليدية، رغم ما شهدته من تحولات عبر الزمن. وفي قلب هذه المنظومة الاجتماعية، برزت المرأة القبائلية خلال العهد العثماني عنصراً محورياً، يتجاوز دورها الإطار الأسري الضيق ليشمل مساهمات اقتصادية واجتماعية وثقافية بالغة الأهمية.

وعلى الرغم من القيود المفروضة عليها نجد أن المرأة لعبت في بادية زواوة دوراً مميزاً، يختلف نسبياً عن أدوار نظيراتها في المجتمعات الحضرية، فإنها تحدت القيود الاجتماعية والتقاليد التي تحكم حياتها، بحيث كانت له بصمة واضحة في الحفاظ على

¹ حمداني مالية ، المرجع السابق ، ص1213.

² مفتاح خلفات ، قراءة في مخطوط ... المرجع السابق ، ص576.

استقرار الأسرة والمساهمة في المجتمع المحلي، هذا الدور البارز يعكس قدرتها على التكيف وتحمل المسؤوليات ضمن إطار الثقافي.¹

في البداية، كان دور المرأة الأمازيغية محصوراً داخل نطاق البيت حيث اقتصر على أداء الأعمال المنزلية وتربية الأطفال. وعلى الرغم من صغر سنّها، كانت الفتاة تكلف بدور الأم في رعاية المنزل والإعتناء بإخوتها الصغار.²

إن تحقيق الذات وإثبات الوجود يعدان من أهم الدوافع التي تحفز المرأة القبائلية على تجاوز الأدوار التقليدية الموكلة إليها داخل الأسرة فالشعور بتقدير واحترام الآخرين لها يصبح ضرورة ملحة، خاصة عندما تشعر بمكانتها المتدنية في محيطها العائلي. لذلك تسعى جاهدة للانخراط في العمل خارج المنزل والتفاني فيه.

حيث تجد في ذلك وسيلة لتعزيز شعورها بالقيمة الذاتية وإثبات كفاءتها وقدرتها على المساهمة الفعالة في المجتمع. هذه الخطوة لا توفر لها فقط شعوراً بالراحة النفسية بل تتيح لها أيضاً فرصة لتغيير نظرة الآخرين نحوها وكسب مكانة اجتماعية أكثر احتراماً واستقلالية.³

لقد أدت دوراً محورياً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث ساهمت بشكل فعال في العديد من المهن التي كانت ضرورية لاستقرار الأسرة والمجتمع لقد دفعتها الحاجة الاقتصادية والرغبة في تحسين ظروف المعيشة إلى الانخراط في العمل، سواء داخل المنزل أو خارجه. فالمرأة الريفية على وجه الخصوص لم تكتف بدورها التقليدي في إدارة شؤون البيت، بل شاركت في أعمال زراعية وتجارية وحرفية لتلبية احتياجات الأسرة ومجابهة الظروف القاسية التي فرضتها الطبيعة والمجتمع. هذا الدور لم يكن مجرد استجابة للحاجة،

¹ نفسه ، ص 575.

² حسينة ميلودي ، المرجع السابق ، ص 1526.

³ فضيلة دحماني ، فاطمة عمراني ، التنشئة الاجتماعية للفتاة الريفية القبائلية (دراسة ميدانية بمنطقة معالجة - بلدية آيت لعزیز- البويرة-) ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص علم الاجتماع التربوي، جامعة البويرة ، 2014-2015 ، ص 100.

بل كان تجسيدًا لقدرتها على التكيف وتحمل المسؤولية، مما جعلها ركيزة أساسية في بناء الاقتصاد المحلي وضمان استدامته.¹

انخرطت المرأة القبائلية في مختلف الأعمال الفلاحية وتربية الحيوانات إلى جانب ذلك الصناعات التقليدية التي تشكل جزءًا أساسيًا من حياتها اليومية، فمنذ نشأتها تكتسب العديد من المهارات داخل أسرتها مما يؤهلها للقيام بأدوار هامة في مجتمعها، ومن أبرز هذه المهارات الأعمال اليدوية التي تمارسها النسوة داخل المنازل، مثل صنع السجاد والتطريز والنسيج، التي تعكس إبداعها ودورها المحوري في دعم الاقتصاد العائلي.²

بالنظر إلى انتماء المرأة القبائلية إلى مجتمع ريفي زراعي، فإنها غالبًا ما تحرم من حقها في ميراث الأرض، وذلك وفقًا للأعراف التاريخية التي تحكم توارث الأراضي وامتلاكها. هذا الحرمان من الميراث يعد انعكاسًا لتقاليد قديمة تهدف إلى الحفاظ على الأرض داخل نطاق الذكور في الأسرة، ومع ذلك فإن المجتمع يضمن للمرأة الرعاية والحماية من قبل أهلها في حال تعرضها لمحن الحياة مثل الطلاق أو الترميل أو الفقر مما يعكس نوعًا من المسؤولية الجماعية تجاهها. رغم غياب حقوقها في الملكية.³

نجد أنها عوضت هذا الغياب بدورها الفعال في الأنشطة وكذلك زراعة ورعاية بساتين النخيل والزيتون والكروم والعنب، إلى جانب إنتاج الخضروات والعناية بالأزهار، هذا الدور الزراعي لم يكن مجرد واجب تقليدي، بل كان ضرورة أساسية لضمان استمرارية الحياة الريفية وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

¹ ليلي سعداوي، المرأة الجزائرية وتحديات النسق الاجتماعي خلال العهد العثماني (دراسة مقارنة بين المرأة الريفية والحضرية)

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، مجلد 3، العدد 9، 2022م، ص 61.

² عمر مخلوف، دور عمل المرأة الريفية في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، مجلة قانون العمل والتشغيل، جامعة سطيف-2، مجلد 6، العدد 1، 2021م، ص 229.

³ فضيلة دحماني، المرجع السابق، ص 97.

أما فيما يخص جانب تربية الحيوانات، نجدها أنها لعبت دورًا هامًا فهو نشاط زراعي أساسي يتنوع بين المجال المغلق والمجال المفتوح، فهي المجال المغلق تتولى تربية الدواجن والأرانب داخل "خطائر" مخصصة لذلك، أو تحديد أماكن خاصة لتربية النحل وغيرها، أما في المجال المفتوح، فتقوم برعي الأغنام والأبقار في المراعي والحقول المخصصة لهذا الغرض.

هذه الأنشطة كما أشرت سابقا لا تقتصر على توفير الإحتياجات الغذائية للعائلة، بل تعد أيضا جزءًا من مساهمتها في الاقتصاد الريفي ودورها في الحفاظ على التوازن البيئي.¹

ضمن نشاط تربية الحيوانات، تساهم في صناعة الأجبان وقص الصوف الحيوانات هذه المنتجات تعد مصدر دخل يومي أو أسبوعي يساهم في تلبية احتياجات أسرته وتحسين مستواها المعيشي مما يعزز دورها الاقتصادي في المجتمع الريفي.²

نجد أنه المرأة القبائلية لعبت دورًا محوريًا في المجتمع الريفي حيث ساهمت في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، إلى جانب الأنشطة الزراعية مثل زراعة الزيتون والكروم وتربية الحيوانات. رغم حرمانها من حق ميراث الأرض بسبب الأعراف عوضت ذلك بمساهماتها في الاقتصاد المحلي من خلال الصناعات التقليدية و العمل الزراعي .

دورها يعكس قدرتها على التكيف والتحمل المسؤولية مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في استقرار الأسرة والمجتمع، وذلك ما تمثل في أدوارها في الحياة الزوجية والريفية.³

من خلال التطرق إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع الزواوي خلال العهد العثماني، يتبين أن هذا المجتمع كان منظمًا وفق تقاليد راسخة وأعراف قبلية متوارثة،

¹ عمر مخلوف ، المرجع السابق ، ص 230.

² نفسه ، 231.

³ محرز مرابط، المرجع السابق.

ساهمت في الحفاظ على تماسكه واستمراريته. وقد شكلت المناسبات مثل الزواج والختان مناسبات جماعية بارزة، لا تقتصر على الجانب الديني أو الاحتفالي فقط، بل تعكس روح التضامن والتكافل بين أفراد القبيلة.

فالزواج مثلاً، لم يكن مجرد ارتباط بين شخصين، بل كان حدثاً اجتماعياً يؤسس لتحالفات عائلية ويكرس منظومة القيم المرتبطة بالشرف والانتماء.

أما طقس الختان، فقد جسد مرحلة انتقالية في حياة الذكور، وربط بين الديني والاجتماعي، مما يعكس مدى تداخل الدين والعرف في تشكيل الوعي الجماعي. وفي هذا السياق، برزت المرأة القبائلية بدور فعال، سواء داخل بيت الزوجية أو في الحقل والمجال الريفي، فقد كانت شريكة في البناء الأسري، ومربية للأجيال، وحافظة للتراث الثقافي المحلي.

كما ساهمت في النشاط الاقتصادي المنزلي والزراعي، ما منحها مكانة لا يمكن إغفالها رغم الطابع الأبوي للمجتمع وعليه، فإن دراسة هذه الجوانب تبرز كيف تداخلت الأدوار والممارسات لتشكل صورة متكاملة عن الحياة اليومية في المجتمع الزواوي، حيث شكل كل من العرف والدين والعمل الجماعي إطاراً منظماً للعلاقات الاجتماعية.

الخاتمة

الخاتمة

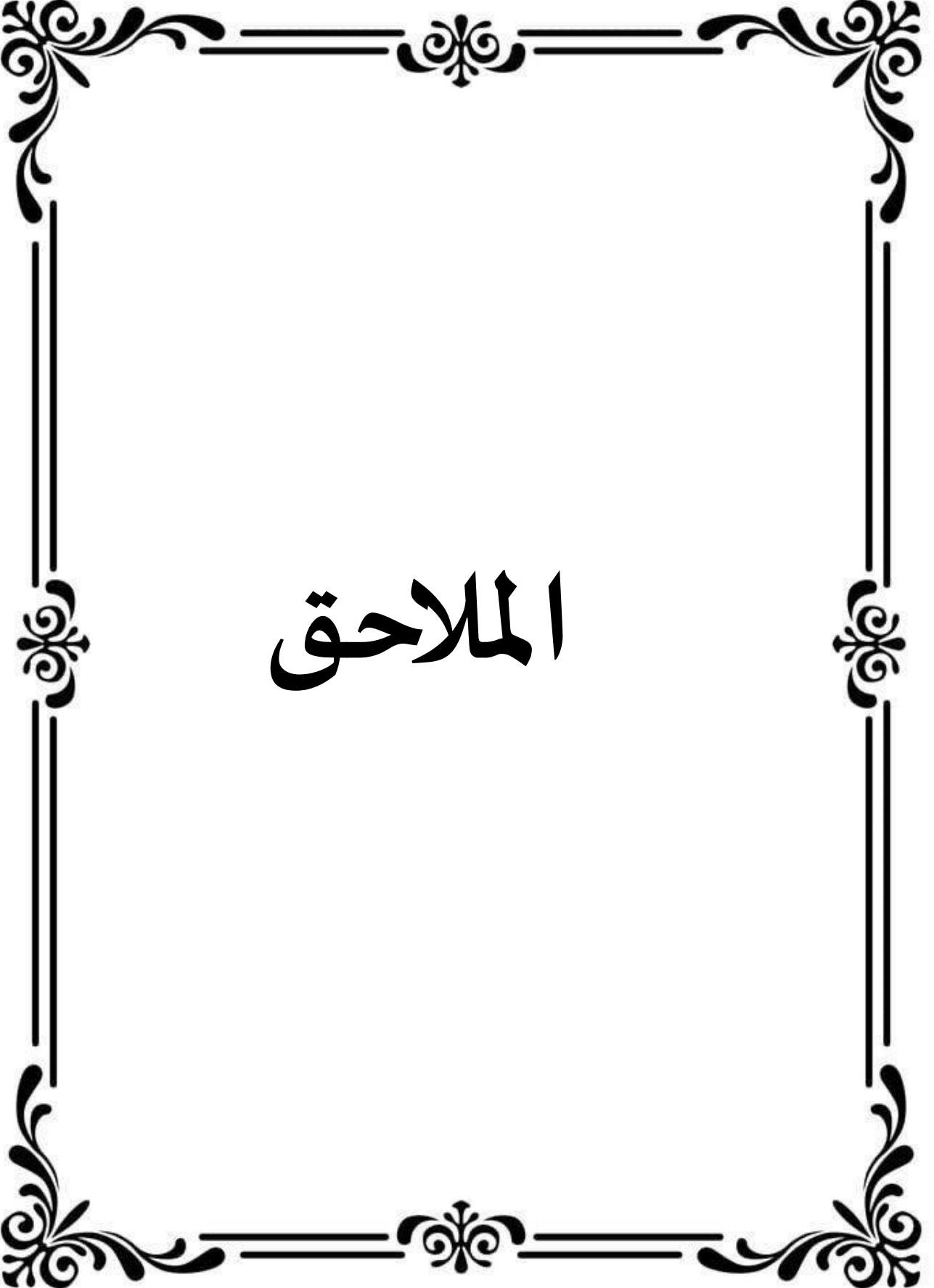
بعد استعراض مختلف الجوانب الإقتصادية والإجتماعية في منطقة زواوة خلال العهد العثماني، يتضح أن هذا المجتمع قد تمكن من بناء نموذج متكامل يتميز بالمرونة والتماسك في مواجهة التحديات، يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة كما يلي:

- شهدت منطقة زواوة خلال العهد العثماني تفاعلاً إقتصادياً وإجتماعياً مميزاً، حيث ساهم الموقع الجغرافي للمنطقة دوراً استراتيجياً في تعزيز النشاط الإقتصادي المحلي والتواصل مع المناطق المجاورة.
- ساعدت الجبال والوديان على توفير الحماية الطبيعية، في حين سمح القرب من السواحل بالتبادل التجاري مع الأسواق المتوسطة.
- تبين أن سكان زواوة اعتمدوا بشكل رئيسي على الزراعة كنشاط اقتصادي أساسي حيث استفادوا من طبيعة التضاريس الجبلية والمناخ المتوسطي لزراعة محاصيل متنوعة مثل الزيتون والحبوب والتين.
- كانت الزراعة تعتمد على تقنيات تقليدية مثل المدرجات الجبلية لحماية التربة وزيادة الإنتاج، مما ساعد في تحقيق الاكتفاء الذاتي في ظل ظروف بيئية قاسية.
- تربية المواشي كانت أيضاً نشاطاً اقتصادياً مهماً في زواوة، حيث اعتمد السكان على الأغنام والماعز كمصدر رئيسي للحليب والصوف واللحوم، وكذلك على الحيوانات ذات قوة مثل الثور تم استخدامه في عملية حرث الأرض وتجهيزها للزراعة وكذلك في نقل المحاصيل والسلع بين القرى والأسواق المحلية، مما ساعد في زيادة الإنتاجية.
- ساهمت هذه الأنشطة في دعم الاقتصاد المحلي خاصة في ظل ندرة الموارد الأخرى، مما جعلها جزءاً لا يتجزأ من النظام الاقتصادي للمنطقة.

- أما فيما يخص الصناعات التقليدية فقد كانت حاضرة بقوة في زواوة، حيث برع السكان في الحرف اليدوية مثل الفخار والنسيج والحلي وغيرها تم ذكرها سالفًا، هذه الصناعات لم تكن مجرد مصادر للدخل، بل كانت تعكس المهارات المحلية والإرتباط العميق بالتراث الثقافي.
- من ناحية التجارة، رغم التحديات المتعلقة بالضرائب وصعوبة الوصول إلى الأسواق الخارجية، تمكن سكان زواوة من تطوير شبكات تجارية فعالة.
- كما تطورت التجارة الداخلية بشكل ملحوظ حيث كانت الأسواق المحلية نقطة التقاء للسكان وتبادل المنتجات بحيث لعبت دور محوري في الجانب التجاري للمنطقة، وفي الجانب الآخر كانت المنتجات الزراعية مثل الزيت والزبيب والصوف تصدر إلى المدن الساحلية والأسواق المتوسطية.
- على الصعيد الاجتماعي، شكلت القبيلة الوحدة الأساسية للتنظيم الاجتماعي حيث كانت تقوم على نظام متماسك من التضامن والتكافل بين أفرادها، مثلت الأعراف والتقاليد القبلية إطارًا أساسيًا للحياة اليومية.
- الزواج في زواوة لم يكن مجرد ارتباط بين فردين، بل كان حدثًا اجتماعيًا يعكس الروابط القوية بين العائلات والقبائل مع طقوس ومراسيم تعزز من تماسك المجتمع وتساهم في توارث القيم.
- الختان أيضًا كان يمثل مرحلة انتقالية مهمة في حياة الذكور حيث كان يعتبر علامة على النضج وتحمل المسؤولية وكذلك يعتبر من الشعائر الإسلامية داخل المجتمع ويرتبط بطقوس واحتفالات تعكس الترابط الاجتماعي.
- أما دور المرأة القبائلية فقد كان بارزًا في الحياة الزوجية والريفية، حيث كانت شريكة أساسية في بناء الأسرة والحفاظ على التقاليد، تميزت بدورها الفعال داخل المنزل وفي الحقول حيث كانت تشارك في الزراعة ورعاية المواشي وكذلك الصناعات اليدوية مثل

الغزل والنسيج أي المشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية، كانت تلعب دورًا محوريًا في الحفاظ على التراث ونقل القيم عبر الأجيال.

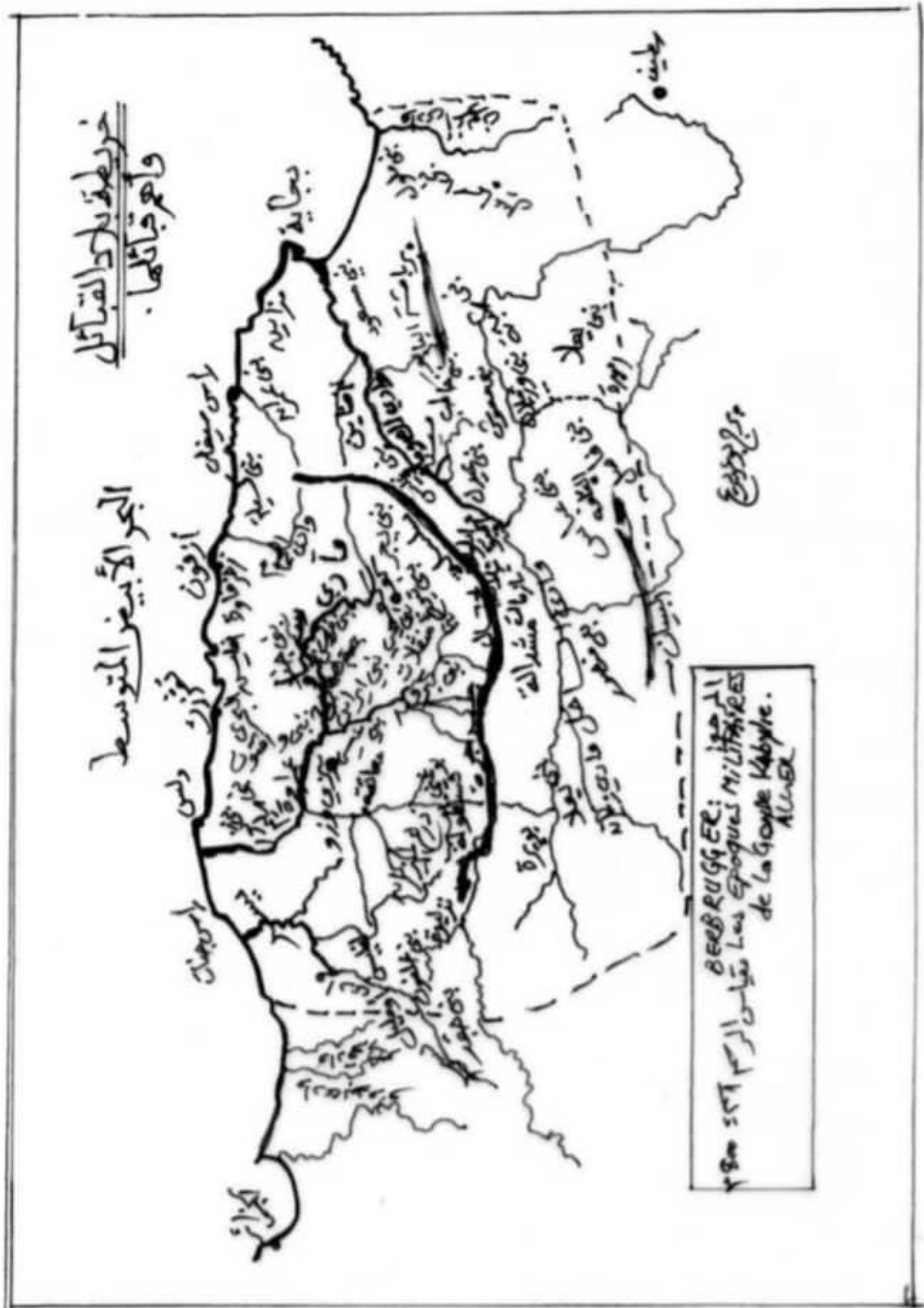
في الأخير، يمكن القول أن المجتمع الزواوي خلال العهد العثماني كان نموذجًا مميزًا في قدرته على التكيف مع بيئته صعبة، مستندًا إلى نظام إقتصادي وإجتماعي متماسك يعتمد على التضامن والتعاون، مما ساعده على مواجهة التحديات وتحقيق الإكتفاء الذاتي.



الملاحق

الملحق رقم 01 : خريطة منطقة القبائل

محدد آكلي آيت سوكي ، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل ... ، ص 153.



الملحق رقم 2: معصرة الزيتون

ليلي وزناجي، الحرف والصناعات في زواوة



الملحق رقم 03 : أقراط الحلي

كيسة بولجنت، العادات والتقاليد في بلاد الزواوة بين القرنين 17 و 19 م



الملحق رقم 04: الركن المخصص للنسيج

كيسة بولجنت ، العادات والتقاليد الشعبية بقرى حوض الصومام - بجاية



الملحق رقم 05: أطفال الزواوة في حفل الختان

نبيل حويلي ، طقوس ختان الذكور بمنطقة القبائل (الجزائر)-مقارنة مدير مجني اطلس
الثقافة الشعبية ، جامعة الجزائر 2.





قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

المصادر باللغة العربية:

- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتني به أبو الصهيب الكرامي، بيت الأفكار الدولية، عمان الأردن، (د،ت).
- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، موقم للنشر، 1995.
- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000.
- ابن منظور (بن مكرم) محمد، لسان العرب، م14، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ت).
- البكري محمد، المسالك والممالك، ج1، ط1، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
- خوجة حمدان، المرأة، تق وتع وتح محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005.
- الزواوي أبو يعلى، تاريخ الزواوة، تر سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.
- السلاوي أحمد خالد الناصري، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1954.

- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعر وتغ وتغ إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- كاربخال مارمول، إفريقيا، ج1، تر أحمد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1984.
- كاربخال مارمول، إفريقيا، ج2، تر أحمد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1988.
- لوتورنو.هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج2، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
- لوتورنو.هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج1، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2013.

المصادر باللغة الأجنبية:

- Benchikh-Boulanouar saida, L'Algerie par ses Archives, casbah Edition, 2015.
- Daumas (E) , Fabar (x) , la Grande kabylie : Etudes Historique , Imprimerie ch, Nonchot, 1847.
- Daumas (E) Mours et coutumes de L'Algerie : Tell – kabylie – sahara, paris, librairie de: Hachette.
- Maistre jules, mours et coutumes kayles montpellur, Imprimerie de la manufacture de la charite, 1905.

المراجع باللغة العربية:

- أرزقي فراد محمد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون والأوقاف الجزائر قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015.
- أزاكو صدقي علي، الإسلام والأمازيغ، دار أبي رقرق، الرباط، المغرب، 2002.
- بن عميرة يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- بن محمد الجيلالي عبد الرحمن، التاريخ الاقتصادي للجزائر العثمانية، دار المعرفة، الجزائر، 1981.
- بن محمد الميللي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تح محمد الميللي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989.
- بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية (أدوارها، مواطنها، أعيانها)، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- بوطبة لخضر، بجاية خلال العهد العثماني (1555- 1833) سلسلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2021.
- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، 2015.
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- سعيدي مزيان، السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871- 1914م)، ج1، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، 2010.

- سي يوسف محمد، مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي "ثورة بوبغلة"، دار الأمل، الجزائر، 2000.
- عقون العربي، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ط1، التنوحي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2010.
- كامب غابرييل، البربر الذاكرة والهوية، تر جاد الله عزوز الطلحي، تق محمد الطاهر الجزائري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2005.
- المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1984.
- المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.
- مونتاني روبير، القبائل المغربية، تر عبد العزيز شهر، دار الحكمة، 1984.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Gamps (G) , Encyclopedie Berber, T17,
- Douiret- ecropau imprime, France, 1996.

الرسائل الجامعية

الدكتوراه:

- أرزقي فراد محمد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749-1949م)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010-2011م.

الماجستير:

- آيت سوكي آكلي محند، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن (10-13هـ / 16-19م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007.
- بولجنت كيسة، العادات والتقاليد في بلاد زواوة بين القرنين (17-18م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- مبارك فاهيمة، بلاد زواوة في ظل الحكم العثماني (1511-1830م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر-2، أبو قاسم سعد الله، 2015-2016.

الماستر:

- دحماني فضيلة، عمراني فاطمة، التنشئة الاجتماعية للفتاة الريفية القبائلية (دراسة ميدانية بمنطقة معالجة- بلدية آيت لعزیز-البويرة)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص علم الاجتماع التربوي، جامعة البويرة، 2014-2015.
- سعدي حبيبة، عمراني حفصة، السوق الأسبوعي في منطقة زواوة وأبعاده الاجتماعية خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي (1518-1881م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة البويرة، 2016-2017.

- مفتاح فاطمة الزهراء، الأشراف ودورهم الاجتماعي والثقافي في العهد العثماني بالجزائر "بلاد القبائل أنموذجاً" (1518-1830م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص علم الاجتماع التربوي، جامعة البويرة، 2014-2015.
- وزناجي ليلي، الحرف والصناعات في منطقة زواوة خلال العهد العثماني بالجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2020-2021.

المجلات:

- اخلف زينب، عادات وتقاليد الزواج في المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية، مجلة رفوف، جامعة أدرار، مجلد 11، العدد 2، 2023.
- بن رمضان أحمد، زواوة من عهد الفتيقيين إلى مابعد الفتوحات الإسلامية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر، مجلد 4، العدد 8.
- بوزيد فؤاد، العادات والتقاليد الشعبية بقرى حوض الصومام- بجاية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مجلد 2، العدد 9، جامعة قالمة، 2018.
- بوعزيز يحيى، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة الجزائرية، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، العدد 80، 1984.
- بولجنت كيسة، المرأة القبائلية في العهد العثماني (عادات ومعتقدات)، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر، مجلد 9، العدد 3، 2021.
- خلفات مفتاح، قراءة في مخطوط "هذه كيفية سيرة زواوة"، مجلة العلوم الإنسانية، المسيلة، الجزائر، مجلد ب، العدد 42، 2014.
- روابحي نذير، الطقوس والممارسات الدينية في فترة الخلافة العثمانية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مجلد 18، العدد 1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2022.

- سعداوي ليلي، المرأة الجزائرية وتحديات النسق الاجتماعي خلال العهد العثماني (دراسة مقارنة بين المرأة الريفية والحضرية)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، مجلد3، العدد9، 2022.
- شتوان بلقاسم، أبو يعلى الزواوي حياته وآثاره ومرجعياته السلفية، مجلة المعيار نصف سنوية جميع التخصصات، جامعة تسمسليت، مجلد18، العدد36، 2014.
- مالية حمداني، المرأة القبائلية في ظل التغيرات الاجتماعية الكبرى (دراسة
- مخلوف عمر، دور عمل المرأة الريفية في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، مجلة قانون العمل والتشغيل، جامعة سطيف-2، مجلد6، العدد1، 2021.
- مولود جمعي، النشاط الاقتصادي التقليدي في منطقة القبائل، مجلة الدراسات المغاربية، العدد12، 1995.
- ميلودي حسينة، ميراث المرأة القبائلية بين خضوعها للأعراف والتقاليد المجتمع والحاجة المادية، مجلة المعيار نصف سنوية متعددة التخصصات، جامعة تسمسليت، مجلد15، العدد1، 2024.
- نموذجية في مدينة تيزي وزو، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، جامعة الجزائر، مجلد11، العدد2، 2023.

المواقع الإلكترونية:

- محمودي رشيد، عادات وطقوس حفلات الختان بقرى منطقة القبائل، 22جويلية 2024.
[https:// Baraka news.dz.com](https://Baraka.news.dz.com).
- مرابط محرز، المرأة القبائلية سيدة بيت وعمود مجتمع، 11يناير 2018.
[https:// ww.maghreb voices.com](https://ww.maghrebvoices.com).

فهرس المحتويات

الاهداء

قائمة المختصرات

مقدمة : أ

الفصل التمهيدي: لمحة عن المنطقة زواوة جغرافيًا وتاريخيًا.

أولاً: الموقع الجغرافي للمنطقة..... 09

ثانيًا: أصل تسمية ونسب زواوة..... 12

ثالثًا: تاريخ زواوة من فتح إسلامي إلى بداية الحكم العثماني..... 17

الفصل الأول: مقومات النشاط الإقتصادي في زواوة

المبحث الأول: الزراعة وتربية الحيوانات..... 23

أولاً: النشاط الفلاحي..... 23

ثانياً: تربية الماشية..... 29

المبحث الثاني: الصناعات التقليدية في زواوة..... 33

أولاً: الصناعات المعدنية والزخرفية..... 33

ثانياً: الصناعات الغذائية والمنزلية..... 41

المبحث الثالث: النشاط التجاري في زواوة..... 46

أولاً: التجارة الداخلية..... 47

ثانياً: التجارة الخارجية..... 50

الفصل الثاني: الممارسات الإجتماعية في زواوة

المبحث الأول: الزواج والختان..... 55

أولاً: تقاليد الزواج في زواوة..... 55

ثانياً: طقوس الختان في المجتمع الزواوي..... 63

71	المبحث الثاني: دور المرأة القبائلية
71	أولاً: الحياة الزوجية
73	ثانياً: الحياة الريفية
79	الخاتمة
	قائمة الملاحق
85	قائمة المصادر والمراجع
	الملخص

المخلص

الملخص

تندرج دراستي حول التاريخ الإقتصادي والاجتماعي لإحدى مناطق الوطن المتمثلة في منطقة القبائل أو زواوة وقد طرقت هذا الموضوع ودرسته من خلال مجموعة من المصادر والمراجع المحلية والأجنبية في محاولة للتعرف على النمط الإقتصادي في المنطقة وكذا العادات والتقاليد وإلى أي مدى ساهمت مقومات الإقتصادية المحلية للمنطقة وتأقلم سكان المنطقة بخصوصيات معيشتهم وكذلك العادات والتقاليد في تماسك المجتمع الزواوي.

الكلمات المفتاحية:

زواوة، الإقتصاد، العادات، التقاليد، المرأة القبائلية.

Abstract

My study is about the economic and social history of one the contry's regions, kabylie or Zouaoua. Laddressed and studied this topic through a group of local and foreign sources and references in an attempt to understand the economic pattern in the region, as well as the customs and traditions, and the extent to which the region's inhabitants to the peculiarities of their lives, as well as the customs and traditions, contributed to the cohesion of Zouaoua society.

Keywords

Zouaoua, economy, customs, traditions, kabyle wome

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): غضبان رمصياء

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم):

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 110020995021990001 (211152221)

الصادرة بتاريخ: 08-12-2024 عن دائرة: المسيلة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية القسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 202035.067631

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر, مذكرة ماجستير, اطروحة دكتوراه)

عنوانها: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة
رواوة إلى ما قبل نقابة الحكم العثماني

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في
انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2025/06/03

امضاء المعني (ة):

Prompina

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 2016-07-28 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.



الموافق عليه من قبل المجلس العلمي
وتمت الموافقة عليه
بشكري صابري

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الجلسة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة زواوة إلى ما قبل نهاية
الدعم العتصاني

رقم التسجيل:

1- إعداد الطلبة: الطلبة

رقم التسجيل:

2- عضيات رصيهاء

التخصص:

القسم: اللغة في علم

الرتبة: أستاذ

إشراف: أستاذ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح
بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء الأستاذ (ة) المشرف (ة):

رئيس القسم

موافقة

